جامعة جنوب الوادي
كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

علم الاجتماع في الوطن العربى

د. ساره عبدالفتاح محمد هاشم
دكتورة علم الاجتماع الإعلامي والاتصال
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

2024 - 2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَآ

إِلا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة : الآية (32)

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الذي نستعين به في السراء والضراء، بسم الله الذي نتوكل عليه في كل أمورنا، ونصلى ونسلم على النبي الامي الذي علم العالم فكان أفصحهم لسانا وأكثرهم بيانا.

إن هذا الكتاب يمكن أن يحفز الطلاب منذ عامهم الأول في الدراسة ويفتح لهم آفاق المستقبل، ويزيد طموحهم لبناء أمتهم، ويعرفهم بأهمية دراسة علم اجتماع في الوطن العربي، وأهمية الوظيفة الحضارية والمجتمعية التي سيقدمون بها، إنني أعمل بذلك لتمويل الطلاب إلى فرسان البحث عن الحقيقة، وتوعية الأمة، وإنتاج المعرفة ونقلها، والوفاء بحق جمهورهم في المعرفة، لقد كنت أريد أن يشكل ذلك الكتاب البداية لانطلاق جيل جديد من الذين يتميزون بالجرأة والشجاعة والعلم، ويعرفون أهمية رسالتهم

ووظيفتهم، هناك أيضاً جانب آخر لاختيار العنوان هو أنني كنت أتطلع إلى أن يشكل هذا الكتاب دوراً مشابهاً في معرفة نشأة علم اجتماع في الوطن العربي والدور الذي شكلته مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع وتطور العمران البشري، وأعتقد أن ذلك كان من أهم عوامل تطور العمران وبناء الحضارات ونقل المعرفة، وربما أردت أن أكمل جهد ابن خلدون، بتوضيح دور علم الاجتماع وأهميته في إعادة الحضارة وبناء مجتمع المعرفة.

د. ساره عبدالفتاح

الفهرس:

الفصل الأول

مدخل الى علم الاجتماع في الوطن العربي

مقدمة .....

أولا :ظروف نشئه علم الاجتماع في العالم الغربي.....

ثانيا: ظروف انتقال علم الاجتماع ونشيئته في العالم العربي.....

ثالثا :علم الاجتماع في الوطن العربي من الوثبة الى النكبة.....

الفصل الثاني

الرواد الأوائل والمؤسسون لعلم الاجتماع

في الوطن العربي وازماته

أولا :الرواد الأوائل لعلم الاجتماع في الوطن العربي.....

ثانيا :المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع في الوطن العربي.....

ثالثا :الازمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي.....

رابعا: نحو مستقبل مرغوب لعلم الاجتماع في الوطن العربي.....

خاتما .....

الفصل الثالث

الانثروبولوجيا في الوطن العربي

مقدمة .....

أولا :مفهوم الانثروبولوجيا.....

ثانيا :طبية الانثروبولوجيا.....

ثالثا :اهداف الانثروبولوجيا.....

رابعا :الانثروبولوجيا في الوطن العربي.....

خامسا :واقع الانثروبولوجيا في الوطن العربي.....

سادسا :نحو الانثروبولوجيا عربية معاصرة.....

سابعا :بعض دراسات الانثروبولوجيا.....

الفصل الرابع

النظرية العصبية لابن خلدون

تمهيد .....

أولا :نبذه عن ابن خالدون.....

ثانيا :مفهوم العصبية.....

ثالثا :النظريات الخلدونية.....

رابعا :أسس قيام الدولة لابن خلدون.....

الخاتمة

المراجع

أولا: المراجع العربية.....

ثانيا: المراجع الاجنبية.....

الفصل الأول

مدخل الى علم الاجتماع في الوطن العربي

مقدمة:

أولا :ظروف نشئه علم الاجتماع في العالم الغربي

ثانيا :ظروف انتقال علم الاجتماع ونشيئته في العالم العربي

ثالثا :علم الاجتماع في الوطن العربي من الوثبة الى النكبة

مقدمة:

يرجع البناء والنشأة الأولى لعلم الاجتماع إلى العلامة العربي ابن خلدون حيث أسماه علم العمران البشرى، إلا أن الغربيين يقولون إن أوجست كونت هو من شكله في قالبه الحديث وبهذا الاسم بعدما كان يطلق عليه الفيزياء الاجتماعية، لكن مهما اختلفنا في الرؤى بأحقية من شكل هذا العلم إلا أنه جاء ليشخص المشاكل والأمراض الاجتماعية التي كانت تعاني منها أوروبا، فازدهر وترعرع في المجتمع الغربي وانشات مدارس فكرية ونظرية باتجاهاتها المختلفة الشيوعية والرأسمالية.

فعلم الاجتماع في الوطن العربي حسب معظم المحليين تشكل في قالبه الحالي بناءاً على توجهات السلطة الاستعمارية لهذه الأوطان وبقي بعد الاستقلال يتأرجح بين

الفلسفة وإيديولوجية والسياسة، وكل طرف يريد أن يميله في اتجاهه ويستفيد منه لتبرير أفكاره أو نشر إيديولوجية، حيث ان مجتمعاتنا العربية تبنت إيديولوجية غربية، إلا أن هناك بعض المحاولات الطموحة لبناء علم اجتماع عربي قومي أو علم اجتماع إسلامي (عربي إسلامي)، على غرار المدارس الغربية كالمدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع، والمدرسة الألمانية، والأمريكية.

فمجتمعاتنا العربية تعاني من أزمات متعددة منها الاجتماعي والاقتصادي التعليمي الثقافي السياسي الأمني، ولذا فعلم الاجتماع الذي ينبغي أن ينشئ وفق رؤية نظرية متكاملة للواقع بالنظر إلى واقع المجتمعات العربية.

فالنظرة التشاؤمية موجودة في نظر البعض حيث يقولون أن واقع علم الاجتماع في الوطن العربي لم يستطع الوقوف على

رجلية لأن ايديولوجياته غربية إذ أننا نعيش أزمات إيديولوجية ترى بشكل واضح عند المشتغلين بعلم الاجتماع، فاختيار مشكلة البحث تكمن وراءها إيديولوجيا، معينه ومعالجة قضايا ومشاكل اجتماعية معينة يصطدم بمشاكل معينة، وفى هذا الوضع المتأزم يعمل رجال علم الاجتماع وفق رؤية الطبقة السياسية الحاكمة ومعظمها استبدادية،، والالتزام بنظرية ومنهج غربي، لأن البعض يقول أن رجال علم الاجتماع لم ينتجوا علما بل اجتازوا العلم الغربي.

ونحن في عرضنا لهذه الواقع نحاول رصد مختلف التيارات خاصة المتخصصة في علم الاجتماع لتقصى هذه الحقائق حول واقع علم الاجتماع في الوطن العربي، باستحضار مختلف التصريحات التي تؤكد أو تنفى قوة أو ضعف علم الاجتماع في الوطن العربي.

إن الحديث عن السوسيولوجيا العربية أو علم الاجتماع في الوطن العربي يقتضي منا الإحاطة بالظروف والأوضاع التي توفرت لإنتاجه في بيئته الأصلية (أوروبا) أولا، ثم الظروف والأوضاع، لمعرفة بشكل جيد أسباب تطوره في مهده الأول (الغرب)، وقصوره في عالمنا العربي منذ انتقاله وزرعه.

وذلك أن التعرف على السوسيولوجيا الغربية كان مع بداية التعرف على الحضارة الغربية ومنجزاتها، والذى كان بدايته مع غزوة نابليون بونابرت لمصر سنه 1798، وما يمثل ذلك الحدث من تأثير حضاري على كافة الأصعدة الحياتية للمجتمع، وفى الحقيقة فإن تقليد الآخر قد مس جميع القطاعات من اقتصاد وإدارة وجيش وقضاء وتشريع وثقافة وتربية وعلوم، وربما كان أصحاب نابليون بونابرت لأكثر

160 عالما وباحثا وما أنجزوه في مصر دور الدافع والحافز للتعرف على مختلف العلوم الأوربية الحديثة وممارستها، وتبع ذلك من بعثات محمد على الطلابية يتقدمهم أمام البعثة رافع رفاعة الطهطاوي، وطه حسين وأحمد امين وقاسم أمين وغيرهم كثر، وذلك للتعرف على الحضارة الأوربية ومنجزاتها العلمية والتقنية المبهرة، وبالتالي تم التعرف بالنسبة لتلك البعثات الطلابية على العديد من المنجزات العلمية للحضارة الغربية في معظم المجالات العلمية ومنها علم الاجتماع.

ونحاول في هذا الفصل نحاول التركيز على علم الاجتماع، وعلى طريقة انتقاله إلى العرب، وعلى تاريخه الطويل والأسباب الكامنة وراء قصوره الراهن، وتتبع مسيرة علم الاجتماع في الوطن العربي منذ التعرف عليه

ونشأته منذ عشرينات القرن الماضي وواقعه اليوم وعلاقته بمجتمعه، وما هو إلا نموذج من نماذج منتجات الحضارة الغربية التي تعرف عليها المجتمع العربي وزرعها في فضائه.

أولا: ظروف نشأة علم الاجتماع في العالم الغربي:

لقد نشأ علم الاجتماع في الغرب الحديث في مع الحركة العلمية التي عرفها في مجالات علوم الطبيعة والفيزياء، إذ تميز ذلك العصر بالاكتشافات العلمية وتطبيق المنهج العلمي الحديث لتفسير الظواهر هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن المجتمع الأوربي عرف ثورتين كبيرتين لم يعرفهما من قبل، هما الثورة الصناعية والثورة السياسية (الثورة البريطانية، الثورة الفرنسية)، وما نتج عنهما،

فالثورة الصناعية هزته هزه عنيفة، وشكلت منعطفا تاريخيا حاسما. فقد كانت الثورة الصناعية والثورة السياسية وما نتج عنهما من أحداث وتقلبات على كل المستويات فاتحة لعهد جديد وحضارة جديدة، فقد غيرت هاتان الثورتان المجتمعات الأوربية تغيرات عنيفة ومتتالية برز بعدها المجتمع الأوربي كما هو اليوم، أي مجتمع صناعي رأسمال وليبرالي.

زيادة على ذلك إن تلك الاكتشافات العلمية وظفت كلها في خدمة المجتمع وتحقيق رفاهيته، علم الاقتصاد لحل المشكلة العلمية وظفت كلها في خدمة المجتمع وتحقيق رفاهيته، علم الاقتصاد لحل المشكلة الاقتصادية وعلوم الطبيعة والحياة (البيولوجية) للقضاء على الأمراض المنتشرة آنذاك وذلك بتشخيصها واكتشاف الأدوية المناسبة لها. وحسب إميل دور كايم فإن الشعور بضرورة دراسة

المجتمع يرجع إلى طابعه غير السوي وإلى الفوضى السائدة فيه، وبالفعل فإن المرحلة التي ظهر فيها علم الاجتماع إلى الوجود تتميز بأزمة لم يعرف التاريخ لها مثيلا، فهي قد عاشت أكبر تحول في تاريخ الإنسانية. وقد جاء علم الاجتماع لأجل إخراج المجتمع الأوربي من أزماته وإيجاد الوصفات العلاجية لأمراضه المزمنة الناتجة عن الثورة الصناعية وتبعاتها، وبذلك – وفى الوقت نفسه – يجد لنفسه مكانا بين العلوم الحديثة، التي قسمت حسب أوجست كونت إلى علوم تجريبية وعلوم إنسانية، وقد صنف علم الاجتماع مع هاته الأخيرة في آخر الترتيب. وإذا كانت تقاس دقة أي علم آنذاك بمدى استعماله للغة الرياضيات فإن مدى عملية أي علم وصحة نتائجه كانت تقاس بمدى خدمته للمجتمع الأوربي في ذلك الوقت والإنسانية جمعا، وفى هذا الصدد قال إميل دور

كايم، في نهاية القرن التاسع عشر: "إن السوسيولوجيا لن تستحق ساعة واحدة من العناء إن لم تكن لها فائدة عملية. ومن هنا فإن السوسيولوجيا لابد أن تكون عملية إذا أرادت أن تكون علمية.

إذا من خلال ما سبق نستنتج أن علم الاجتماع نشأ نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية، وإن شئت تدقيق جاء لتحقيق حاجات ورغبات كان المجتمع الأوروبي في اشد الحاجة إليها، وتراكمات علمية أدت إلى ولادته، وان كانت هذه الولادة مستعصية وقيصرية، فهل هذه الظروف هي نفسها التي عرفت المجتمع العربي؟

ثانيا: ظروف انتقاله ونشأته في العالم العربي:

إن ظروف نشأة علم الاجتماع في الغرب بالطبع هي ليست نفسها ظروف ولادته في البلاد العربية، فالعالم العربي مشرقه ومغربه لم يعرف الثورة الصناعية أو التكنولوجية ولا تراكمية علمية أفضت إلى ثورة تكنولوجية مثلما حدث في الغرب، ولن أكن مبالغا في القول إذا قلت حتى اليوم -وبعد مرور فرنين من اتصاله بالغرب وتعرفه على منجزاته الحديثة -لم يستطع أن يستوعب منجزاته التقنية، ويواكب تقدمه الحضاري، وإذا كان السؤال المحير الذي طرحه شكيب أرسلات في نهاية القرن التاسع عشر.

لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟، فإنه لم يلق الإجابة عليه حتى اليوم. والحقيقة أن العالم العربي -مشرقه ومغربه قد تعرف على الحضارة الغربية ومنجزاتها مبكرا مع

الاستعمار منذ منتصف القرن التاسع عشر، ذلك الحدث التاريخي الذي يمكن أن ينظر إليه من جهة أخرى بأنه احتكاك حضاري تم بين الغرب الصناعي والشرق الزراعي، وبذلك أطلع على الكثير عن علومه كما أسلفنا الذكر ومنها علم الاجتماع.

وطبيعيا أن يتأثر العالم العربي بثقافة الاستعمار سواء الإنجليزي منه أو الفرنسي أو غيره، بعد أن كان خاضعا له تحت وصايته على ما يقرب قرن من الزمان أو أكثر تقريبا حسب كل بلد، فالثقافة العربية الحديثة في الإطار المكاني أو الإقليمي ارتبطت بثقافة المستعمر في مجالات عديدة، وهذا بدوره أثر في البيئة الاجتماعية للمجتمعات العربية. وفى هذا الإطار أيضا يمكن النظر إلى الأقاليم العربية كمنطقة ثقافية تضم بداخلها قسمين كبيرين متمايزين

وكل قسم ارتبط بثقافة غربية، فالفكر الاجتماعي والمعرفة العلمية لدى دول المشرق العربي ترتبط إلى حد كبير بثقافة المستعمر الإنجليزي، في حين ارتبط مجتمع شمال أفريقيا بشكل كبير بثقافة المستعمر الفرنسي، وهذا الارتباط ساهم في التبادل الحضاري بين الثقافة المحلية وثقافة المستعمر.

واستمر الحال عليه إلى مرحلة الاستقلال، بحضور ثقافة المستعمر إلى جانب الثقافة المحلية، والتي تبنتها الدولة الجديدة في إطار تحديث المجتمع، وبالتالي ظهر مركب ثقافي يتصف بازدواجية التفكير واللغة والثقافة، أو ما يسمى بالثنائية على كافة المستويات والأصعدة وحتى النخب. كما تجلى ذلك في الخطط التنموية والمشاريع الكبرى المتعلقة بالتنمية لتلك المجتمعات، فالفكر السوسيولوجيا في البلاد العربية ليس أحادي المنبع.

ومنه يبدو أن هذا النمط الثقافي وما ترتب عنه من ممارسات سوسيولوجيا يمثل استجابة لافتقار الثقافة المحلية إلى نظريات واضحة المعالم ومناهج علمية تمكن من حل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية وتحقق طموحاتها، كل ذلك أدى إلى استيراد حلول جاهزة بتبني نظريات ومناهج من ثقافات أخرى طبقت في الغالب وبوسائل وتقنيات ثقافة المستعمر. وفى هذا السياق التاريخي وعلى المستوى الأيديولوجي، بقيت السوسيولوجيا في البلدان العربية –على قلتها- رهينة التوجهات التنموية والأيديولوجية للدولة الوطنية والمرتبطة أما بالتوجه الاشتراكي أو الرأسمالي، توجهات نتج عنها نوعين اثنين من علم الاجتماع: علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي ولكل نوع منهما منطلقاته الفكرية والأيديولوجية،

فالأول كان هدفه الحفاظ على النظام القائم مع محاولة خلق ميكانيزمات التوازن في هذا النظام، أما الاتجاه الثاني والذى يعتبر مضاد للأول وهو علم الاجتماع الاشتراكي الغرض منه حل المشكلة الاجتماعية بطريقة راديكالية، بمعنى تغيير المجتمع الرأسمالي وتحويله إلى مجتمع اشتراكي لحل مشكلة التناقض الرئيسي بين رأس المال والعمل. وقد ساد علم الاجتماع الاشتراكي في معظم البلدان العربية كون ذلك صاحب عملية التحرر من الاستعمار، حيث أتبعت العديد منها التوجه الاشتراكي وذلك استكمالا للتحرر الذي ترى في اختياره نهجاً مخالفاً للاستعمار، لأن معظم الدول الاستعمارية كانت ذات توجه رأسمالي، وذلك ما سمى بالمرحلة المضادة كنقيض لمرحلة الاستعمار.

ومن بين علماء الاجتماع العرب الذين تبنوا منطلقاته الفكرية، هشام شرابي في دراسته المجتمع العربي، حيث تبنى النظرية الجدلية الماركسية في تحليل البحوث الاجتماعية، ومنهم من حاول تفسير الفكر العربي تفسيرا ماديا تاريخيا (محمود أمين)، وسمير نعيم، ومنهم من حاول دراسة التراث دراسة مادية تاريخية، ومنهم من طبق الماركسية كمنطق ضمني في أبحاث اجتماعية جديدة وجدية حول ماضينا وحاضرنا، مثل عبدالله العروي.

ثالثاً: علم الاجتماع في الوطن العربي من الوثبة إلى النكبة:

أ-البدايات وتكون الرعيل الأول:

قلنا سابقا إن العالم العربي تعرف على منتجات الثقافة الغربية ومجالاتها العلمية مبكرا ومنها علم الاجتماع،

كان ذلك في الجامعات الغربية، ففي عام 1913 ناقش منصور فهمى أطروحة الدكتوراه حول وضعية المرأة في الإسلام تحت اشراف الدوركايمى (لفى بريل1857-1939) وفى عام 1918 ناقش طه حسين أطروحة الدكتوراه حول " الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون " وكان قد أعدها تحت أشراف اميل دور كايم نفسه، مؤسس المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع وناقشها سنه1918 بعد وفاة هذا الأخير سنة 1917، تحت إشراف تلميذه "سليستان بوقلى" (1870-1940). يقول الباحث "جمال الدين غريد"، لهذين الحدثين دلالتين اثنتين:

- الأولى أن العالم العربي تعرف السوسيولوجيا في فترة مبكرة، ففي الوقت الذي كان فيه "منصور فهمي " و" طه حسين" يعدان أطروحاتهما كان الآباء المؤسسون

لعلم الاجتماع جمعيا على قيد الحياة، بل كانوا في أوج عطائهم العلمي. ففي هذه الفترة كانوا قد نشروا أو بصدد نشر أمهات أعمالهم المميزة، فدوركايم كان قد نشر مؤلفه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" سنه 1912، و "فالفريدباريتو" عمله المركزي "مدخل لعلم الاجتماع" سنه 1916، أما "فيبر" الذي شرع في تحرير كتابه الأساسي "الاقتصاد والمجتمع" سنه 1909، ثم توفى 1920، قبل صدوره الذي لم يتم إلا سنة 1922.

- الثانية إن التعرف بالسوسيولوجيا كان في الوقت ذاته تعرفا بابن خلدون، الذي يرجع له الفضل في اكتشافه إلى أوربا ورده إلى أهله وثقافته. نستنتج إذا من هذين الحدثين نتائج كثيرة، تعرف العرب إذا مبكرا على

السوسيولوجيا الدوركايمية، وتعرفة عليها بصفة مباشرة.

حيث قاموا المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع من الدوركايمين، أعدوا الأطروحات تحت إشرافهم وترجموا بعض أعمالهم، وأسسوا فرعا لتدريس السوسيولوجيا في الجامعة المصرية وذلك منذ 1925، فكانت الهيمنة الدوركايمية تكاد تكون مطلقة على الرعيل الأول من السوسولوجيين العرب وخصوصا المصريين منهم، وهكذا فقد أشرف (لفى بريل) على أطروحة منصور فهمي أول متحصل على دكتوراه دولة في علم الاجتماع، وأشرف (فوكونى) على عمل (عبد الواحد وافى) أول أستاذ في علم الاجتماع.

ولم يقتصر التكوين المصري على المدرسة الفرنسية الدوركايمية بل تعداه إلى المدرسة البريطانية والأمريكية، خصوصا في الأنثروبولوجيا وفروعها الحديثة، مثلما هو الحال مع أب الأنثروبولوجيا العربية (أحمد مصطفى أبو زيد) الذي درس إيفانز بريتشارد في الجامعة البريطانية. ولهذا الحدث لا يقل شأن عن الحدثين السابقين الذكر من ناحية الأهمية، فقد تعرف العرب الأنثروبولوجيا في مراحلها الأولى من التشكيل، أي في الوقت الذى بدأت تشق فيها طريقها العلمي، إذ كان العلماء العرب يتكونون على أيدى مؤسسي ذلك العلم الجديد، يتقدمهم العالم الأنثروبولوجي المشهور، الدكتور أحمد مصطفى أبوزيد (ولد 3 مايو 1921) هو أحد رواد علماء الأنثروبولوجيا العرب، والذى لقب ب"شيخ الأنثروبولوجيين العرب "، كان

قد تلقى تعليمه بجامعتي الإسكندرية وأوكسفورد، أحمد مصطفى أبوزيد -درس عند إيفانز دريتشارد -حصل على ليسانس الآداب (فلسفة وعلم الاجتماع) من جامعة الإسكندرية 1944، ثم على درجة الدكتوراه في الانثروبولوجيا من جامعة أكسفورد 1956، وهو الفائز بجائزة النيل للعلوم الاجتماعية لعام 2011، وخبير سابق في مكتب العمل الدولي بالأمم المتحدة، وأستاذ زائر في عدد من الجامعات العربية والدولية، ومستشار سابق لمجلة "عالم الفكر " الكويتية، ومقرر لجنة الدراسات الاجتماعية في المجلس الأعلى للثقافة في مصر، عمل أستاذا للأنثروبولوجيا وخبيرا بمكتب العمل الدولي بجنيف، أثرى المكتبة العربية بعشرات المقالات الموزعة في الدوريات، من مؤلفاته كتاب " المفهومات " وكتاب " الأنساق " و" المعرفة" وصناعة

المستقبل. عمل أستاذ أنثروبولوجيا متفرغ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية إلى وفاته سنه 2013.

ولم يقتصر انتقال علم الاجتماع إلى العرب عن طريق الدراسة والتكوين المباشر على أيدي المؤسسين لهذا العلم الجديد، بل استقدمت بعض الجامعات العربية من أولئك العلماء المؤسسين لفتح فروع لعلم الاجتماع بتلك الجامعات والتدريس فيها أمثال راد كليف بروان، وايفانز بريتشارد.

ب-المسيرة وتكون الرعيل الثاني:

اما الرعيل الثاني فمنهم من تكون في الجامعات العربية، ومنهم من تكون في الجامعات الغربية، ولهم صيت مشرقا ومغربا أمثال سعد الدين إبراهيم، وحليم بركات

(المجتمع العربي: بحث اجتماعي استطلاعي)، محمد الجوهري وغيرهم.

أما حالة المغرب العربي فلم يتعرف على السوسيولوجيا مبكرا مثله مثل المشرق العربي بالرغم من تشابه في الطريقة، وهو الاستعمار، وبالتالي لم يعرف رعيلين من السوسيولوجيين مثلما هو الحال عليه في المشرق، رعيل تكون في الجامعات الغربية ورعيل الثاني. ففي الجزائر مثلا، نجد أن السوسيولوجيا كممارسة جزائرية لم تأت إلا في مرحلة جد متأخرة، صحيح أن الفرنسيين من ضباط وموظفين ورجال كنسية قد -قاموا منذ- بداية الاحتلال بدراسات كثيرة، وأكثر من ذلك ان السلطات الفرنسية كانت قد أمرت بأجراء بحث شامل، ربما على غرار ما جرى في مصر أثناء الحملة النابليونية، وبغض النظر عن مرامي

الأبحاث وأهدافها فهي تمثل اليوم رصيدا هاما من المعطيات والمعلومات التي لا غنى عنها لفهم حقبة حاسمة في تاريخ مجتمعنا.

ولم تنتقل السوسيولوجيا للجزائريين إلا بعد عدة سنوات بعد الاستقلال، لما بدأت تتشكل الكوكبة الأولى من السوسيولوجيين المغاربة، ويرجع غيابها أثناء الحقبة الاستعمارية إلى عدة أسباب أهمها الاستعمار نفسه، فلم يكن هذا العلم محل تدريس لا في المعاهد العليا التي تأسست سنة 1879ولا في الجامعات التي برزت إلى وجود سنه 1909، لتظهر كوكبة من السوسويولوجيين الفرنسين بالجزائر، أمثال بيير بورديو، وكلودينشولى، وجزائريين مثل صياد عبد المالك وعبد القادر، ثم على الكنز ومحمد بوخبزة، نذير معروف، عدى الهوارى...إلخ.

وفى تونس بدأت أبحاث فرنسية ثم تواصلت أبحاث محلية، مثل دراسة (فالونسى) حول الأقليات المشاغبة والأقليات الصامتة، أما الأبحاث المحلية فقد أشتهر كل من (سالم لبيض) ودراسته حول القبيلة، ومحمد الهادي الجويلى ودراسته حول الزعيم السياسي. أما في المغرب نجد عبد الكريم الخطيبي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي في نقده للانقسامية، وعبد الله الحمودي، الذي من أهم إنتاجاته العلمية: حكاية حج في مكة، (الضحية وأقنعتها بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب).

غير أن هذه المسيرة التطورية الطويلة للسوسيولوجيا العربية تحمل بكل تأكيد كل السمات لحركة وصلت -في نهاية المطاف – إلى أبعاد آخر العلوم الاجتماعية عن نزعتها الأصلية، وفى حالة المجتمع الجزائري وشأنه

في ذلك بدون شك شأن جميع المجتمعات العربية المغلوبة على أمرها أو المستعمرة سابقا، فإن حصيلة السوسيولوجيا تبدو أكثر وضوحا إذ يتعلق الأمر بسوسيولوجيا لم تتمكن أبدا من استرداد نزعتها النقدية....أي سوسيولوجيا لم تظهر قط إلى الوجود. وبكلام آخر وأكثر وضوحا سوسيولوجيا مرتبكة إذا صح التعبير.

ج-سوسيولوجيا عربية مرتبكة، أو سوسيولوجيا الارتباك:

بالرغم من هذه الدراسات والبحوث والتي كانت أقرب إلى صميم المجتمع العربي فإن حالة عدم الرضى لدى معظم السوسيولوجيين العرب على مجهوداتهم، فمنذ منتصف القرن الماضي بدأت تظهر في الساحة الفكرية العربية جملة من الطروحات النقدية للمسار العربي تبلور

فشل الاتجاهات السائدة في تبين العلاقة الجدلية القائمة بين الفكر الاجتماعي والبنية الاجتماعية التي انتجته، وبالتالي صورة هذه الإشكالية في شكل غياب كلى لعلم اجتماع عربي. من هنا بدأت تظهر محاولات فكرية واجتماعية تطالب بتجاوز مرحلة تقليد العلوم الاجتماعية الغربية والتخلص من مسلمات علم الاجتماع الغربي القائم على مواقف قيمية خاصة، وينطلق أصحاب هذا الاتجاه من التساؤلات التالية: هل إن علم الاجتماع من العلوم العالمية -عامة- تخص جميع المجتمعات البشرية المتقدمة منها والغير المتقدمة ؟، أم أن هناك علم الاجتماع ذو هوية عربية؟ وماهي إنجازات علم الاجتماع الغربي في المجتمعات العربية؟، وهل المفاهيم الرئيسية للنظرية الغربية كمفهوم الدولة والإرهاب، تصلح للتطبيق على واقع مجتمعنا العربي؟ ... وتعالت الأصوات

مناديه بعلم اجتماع عربي، ومبررات ذلك تتركز في النقاط التالية:

1- خصوصيات ومشكلات العالم العربي وقصور النظريات الغربية عن فهم واقعنا الاجتماعي لأن تلك النظريات التحليلية صنعت لعالم غير عالمنا ولا تحمل صلة لواقعنا الاجتماعي.

2- إن علم الاجتماع الغربي أستلهم نظرياته من المواقف الاجتماعية والوقائع الاجتماعية للمجتمع الغربي فضلا عن الأيديولوجية والمعرفة والإطار الفكري للعلاقات الاجتماعية السائدة، لذا كان من الأجدر الانطلاق من التراث العربي التي تبدأ منها أول الخطوات نحو علم اجتماع عربي.

3- تستمد المفاهيم الاجتماعية من التراث الغربي وتختبر على واقعنا الاجتماعي في الماضي والحاضر.

ويبدو أن صورة علم الاجتماع العربي مازالت تتصف بالضبابية وغير واضحة المعالم، بل إنها تتخذ أحيانا شكل الانفعال العاطفي الذي قد يؤدى إلى الانتحار أو الهاوية. من ثمة فالمفاهيم الغربية والنظريات العلمية لا تمثل كتلة معينة أو منطقة دون آخري، بل تمثل الثقافة العالمية والتراث البشرى، فلا يتحقق علم اجتماع عربي بالرفض الكامل والشامل مع الإنجازات العلمية والعالمية.

وقد انتظمت ملتقيات وندوات دولية لعلماء الاجتماع العرب وطنية ودولية، للوقوف تقييمه على طبيعة عملهم، " فهذه الوضعية المزرية لهى محل الانشغال الأول لعلماء الاجتماع العرب جميعهم، فلا تكاد تحصى الملتقيات

التي يتدارس فيها هؤلاء العلماء ويتناقشون أسباب ما أصطلح على تسميته بالأزمة، إلا إذا أخذنا على سبيل المثال النصف الأول من الثمانينات حيث لاحظنا انتظام العديد من الملتقيات العربية بغرض تحليل هذه المسألة بداية من ملتقى القاهرة (26-28،فبراير 1983) المعنى بإشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ثم ملتقى الكويت علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي المعاصر، (الكويت 11/8.أبريل 1984)، ثم حول العلوم الاجتماعية اليوم، ثم حول العلوم الاجتماعية اليوم، (26وهران -28مايو 1984)، وبعده مؤتمر "نحو علم اجتماع عربي"، (تونس 25-28 يناير 1985). ثم تم ملتقى وهران ثانية، يوم الرابع والخامس والسادس من شهر مايو 2002، وقد عقدت كل هذه الملتقيات والمحافل العلمية،

بغرض السماح لعلماء الاجتماع العرب بمعالجة محددات وتداعيات وضعية علمهم.

وفى الواقع لم يفعل هؤلاء العلماء شيئا آخر سوى محاولة الارتباط مجددا بالتقليد السوسيولوجى الأول الذي كان من صنع المؤسسين أنفسهم (دوركايم، فيبر، باريتو) أي بممارسة السوسيولوجيا كعلم نقدي لذاته. وما كثرة هذه الملتقيات إلا دليل على الأزمة التي يعيشها علمهم، يشبهه (علم الاجتماع العربي) عالم الاجتماع الجزائري "جمال الدين غريد" بالشخص المصاب بمرض غريب استعصى تشخيصه، وذلك بقوله : "وقد وقف علماء الاجتماع العرب مطولا على سرير المصاب بمرض نادر استعصى تشخيصه واستلزم التشاور المكثف حوله، وهكذا فقد تعددت التشخيصات وتنوعت، فمنهم من يرد الأسباب إلى الخارج

(الهيمنة الامبريالية) ومنهم من يعزوها إلى الداخل (التخلف الأنظمة التسلطية واللاديمقراطية) ومنهم من يعزوها إلى علماء الاجتماع أنفسهم (مواقفهم من الطبقة البعيدة عن هموم واهتمامات الجماهير الشعبية). وإلى جانب هذا النقد الذاتي الموجه لعلماء الاجتماع ببعضهم " فهو يرى تارة أن علما الاجتماع العرب في معظمهم مصابون بالازدواجية، فهم يهتمون بالفكر الغربي أكثر مما يهتمون بمجتمعاتهم، فهم يعيشون بأجسامهم في الشرق وبعقولهم في الغرب، ويضيف البعض بأن السبب يكمن أيضا في الابتعاد عن الإسلام ومقوماته الثقافية والاجتماعية، وهو يرى تارة آخري أنهم مصابون بكسل مزمن فيكتفون باستيراد الأفكار السوسيولوجيا الجاهزة.

لكن بالرغم من ذلك، فلازالت هناك مجهودات بحثية لعلماء الاجتماع عربي نابع من صميم المجتمع العربي، ولم يقتصر على الإبداع في الجانب النظري، بل تجاوز ذلك إلى محاولات جادة لاستلهام تقنيات البحث الميداني من المدرسة البريطانية. غير أن تباينها كان أكثر من توافقها مما يجعلها مشتتة وغير مؤثرة، فمنه من حاول إعادة تفسير التراث باستعمال أدوات معرفية حديثة، على سبيل المثال: محمد عابد الجابري ومحمد أركون، وحسن حفني، ونصر حامد أبو زيد. ومنهم من حاول تطبيق المنهج المادي للتاريخ، أو أفكار النزعة التاريخية، مثل عبدالله العروي وسمير أمين، ومنهم من أستلهم المناهج الحديثة في العلوم الاجتماعية في فهم التراث مثل على الوردي، وهشام شرابي وسعد الدين إبراهيم، ومحمد جابر الأنصاري. ثم إن

أولئك الباحثين الاجتماعيين العرب ودراستهم، بالرغم من التراكمات البحثية لديهم، لم يشكلوا مدرسة خاصة بهم ونابعه من صميم المجتمع العربي، أو نظري أو اتجاه بحثي يكون مرجعا وسند يعول عليه في كل بحث اجتماعي مستقبلي في المجتمع العربي.

الفصل الثاني

الرواد الأوائل والمؤسسون لعلم الاجتماع

في الوطن العربي وازماته

أولا :الرواد الأوائل لعلم الاجتماع في الوطن العربي

ثانيا :المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع في الوطن العربي

ثالثا :الازمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي

رابعا :نحو مستقبل مرغوب لعلم الاجتماع في الوطن العربي

الخاتمه:

أولا: الرواد الأوائل لعلم الاجتماع في الوطن العربي:

كنا قد تطرقنا سلفا إلى الرواد الأوائل المشكلين لعلم الاجتماع بداية من الفارابي إلى ابن خلدون، دون أن نمر على المشكلين لهذا العلم الذين يعتبرون من الكوكبة الثانية وهو أوجست كونت الفرنسي وهربرت سبنسر البريطاني وماكس فيبر الألماني وغيرهم ممن أسهموا في تشكيل هذا العلم، وهؤلاء وغيرهم من العلماء كان لديهم تأثير بالغ في تشكيل علم الاجتماع في الوطن العربي.

وعليه نقول إن علم الاجتماع في الوطن العربي في مرحلته الحديثة قد استفاد من كل هذا التراث الضخم عن طريق سفر رواده، أو جيل ما بعد الرواد إلى كل من فرنسا وأمريكا وبريطاني ثم في مراحل لا حقه إلى دول

اشتراكية...حيث تم حصولهم على الشهادات التخصصية في علم الاجتماع.

ففي مصر يتفق الكثير من الباحثين على أن للحملة الفرنسية من قبل نابليون بونابرت 1798م، كان لها الأثر الكبير في إحداث التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية، حيث قامت هذه الحملة باصطحاب الكثير من العلماء والباحثين لمن يرغب في التعرف على المجتمع المصري من جهة ونقل المعارف إلى هذا المجتمع من جهة آخري. وألقيت أول محاضرات في علم الاجتماع في مصر 1908م. وفى الفترة من 1924إلى 1936م هي فترة التحول التدريجي لما يسمونه بعلم الاجتماع العلمي، وبفعل تأثير الأفكار التي تناولها علماء الاجتماع والاحتكاك بالغرب. حيث تم تأسيس الجامعة المصرية كجامعة حكومية حلت محل الجامعة

الأمريكية بالقاهرة في منتصف العشرينيات، أما أول كراسي الأستاذية في علم الاجتماع في مصر فقد شغلها بالطبع أساتذة غربيون بارزون على رأسهم "راد كليف براون وردتك أولخ" وشهدت هذه الفترة انتشار أفكار الفلسفة الوضعية "لأوجست كونت " والمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع والمدرسة الأنثروبولوجيه البريطانية والأفكار التحررية السائدة في الغرب. أما بداية الدراسات الاجتماعية فكانت مع أطروحة الدكتوراه حول وضعية المرأة في الإسلام تحت إشراف "لفي بريل" سنة 1913م من إعداد منصور فهمى، وفى سنة 1918م ناقش طه حسين أطروحة الدكتوراه تحت عنوان "الفلسفة الاجتماعية" لابن خلدون بعد وفاته عام 1917م تحت إشراف تلميذته سلستان بنقلى، وتعرف العرب مبكرا على السوسيولوجيا وخاصة الدوركايمية التي كانت

في قمة عطائها أثناء مناقشة منصور فهمي وطه حسين لأطروحاتهم.... وفى الجامعات الأجنبية وكان أول فرع لتدريس علم الاجتماع في الجامعة المصرية سنه 1925م.

أما في بغداد فقد أنشئ قسم علم الاجتماع كقسم مستقل بداية الخمسينات ضمن كلية الآداب جامعة بغداد، ثم قسم الاجتماع جامعة صلاح الدين في السبعينات، ثم قسم الخدمة الاجتماعية جامعة الموصل 1985م، الخدمة الاجتماعية جامعة القادسية 1989م، في حين أنشئ قسم علم الاجتماع في كلية الآداب بالجامعة السورية نهاية الأربعينات، وكذا قسم الاجتماع في الجامعة الأمريكية ببيروت في العقد نفسه.

ففي المغرب فقد أنشئ معهد السوسيولوجية بمساعدة اليونسكو سنة 1960م، وتم اغلاقه سنه 1971م، حيث اندمج تدريس علم الاجتماع في شعبة الفلسفة وعلم النفس بكلية

الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، وفى الستينات أنشئت أقسام علم الاجتماع في كل من تونس والجزائر والأردن وليبيا، أما في السودان فأنشأ عام 1958 م، وأنشئ في السعودية سنة 1973م، وأنشأت أقسام علم الاجتماع في جامعات عدن وصنعاء خلال 1970م.

ونشأة علم الاجتماع في المغرب العربي بفعل الاستعمار الفرنسي الذي عمل على نقل العلم والمعارف وتشكيل تخصصات في الجامعة الجزائرية، حيث درس "بيار بورديو" علم الاجتماع الإسلامي في جامعة الجزائر في خمسينات القرن الماضي، وكان علم الاجتماع في هذه الأوطان ذو صبغة علمية ومنهج علمي كباقي اقطار العالم العربي، وبعد الاستقلال وإثر فكرة التحرر والمقاومة استمد

قوته من الدراسات الاجتماعية للواقع الاجتماعي والمرتبطة بالاستعمار وما تركه من آثار اجتماعية وثقافية وسياسة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن علم الاجتماع في الوطن العربي أنشأه الاستعمار الفرنسي أو البريطاني لدراسة المجتمعات العربية من الداخل، وبعد استقلال هذه البلدان نشأ في البداية بشكل محتشم تارة ملتصقا بقسم الفلسفة، وتارة أخرى ضمن كلية الآداب أو الخدمة الاجتماعية، قبل أن يستقل بقسم خاص به، كما أن المشكلين له الأوائل في الوطن العربي كانوا متخصصين في الفلسفة أو القانون بالإضافة إلى اعتمادهم على مدرسين أجانب كراد كليف براون، وكان منهاجهم غربي، وتشبعهم بالأفكار الغربية.

ثانيا: المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع:

بعد استقلال البلدان العربية بدأت التوجهات بدراسة جميع التخصصات في الجامعة العربية، فإنشات أقسام متعددة لغرض مسايرة للتطور العلمي في العالم، ومن الأقسام التي أنشأت قسم علم الاجتماع بواسطة أساتذة "كرسو" جهودهم وتوجهاتهم؟ وهل استطاعوا تحقيق طموحاتهم؟

أ- جهودهم وتوجهاتهم:

- الجهود الأولى أتت على أيدي غير متخصصين، فأثرت تخصصاتهم في أعمالهم وتوجهاتهم نحو هذا العلم، فقد مهد لنشأة علم الاجتماع في مصر والعراق متخصصون في الفلسفة والاقتصاد والتاريخ.

- حاول هؤلاء نسج خيوط العلم في ضوء تنشئتهم العلمية في الجامعات، ولهذا ولدت الأقسام متصلة مع الفلسفة أو علم

النفس أو الخدمة الاجتماعية أو الاقتصاد الزراعي في كليات الزراعة.

- أن هؤلاء الأوائل نقلو تعليمهم في جامعات أوروبا كفرنسا وانجلترا، كما حدث في مصر والمغرب العربي، أو في أمريكا كما حدث في العراق، وقد أثر هذا بدرجة واضحة في تعليمهم وتصوراتهم، وكانت معظم منتجهم إما ترجمات أو مؤلفات معتمدة على نفس المصادر والمراجع التي تعلموا من خلالها.

- انشغل معظم الرعيل الأول بالتدريس، ونادرا ما تعدى تأثير علم الاجتماع أسوار الجامعات، وأن الانشغال بالتدريس جعل التأليف يرتبط بتسويق الأعمال بين الطلاب.

- وجود صراع في كتاباتهم وتوجهاتهم بين قضايا التراث وقضايا العلم الحديث وانعكس هذا على أعمالهم لأنهم تلقوا تكوينا علمانيا في أوروبا.

إن غياب المتخصصين الأوائل في علم الاجتماع جعله يتأرجح بين قسم وآخر بداية من قسم الفلسفة، ثم التاريخ، ثم الخدمة الاجتماعية، وهذا ما أثر على استقراره واستقلاله، ولم ينشأ عن طريق متخصصين بل من أساتذة درسوا التاريخ، القانون، الاقتصاد، وهذا كله آثر على بنائه الأساسي، بالإضافة إلى الترجمات التي أتت من غير متخصصين كما ذكرنا سابقا، والتشبع الفكري من منظرين غربيين مما أدى بعلم الاجتماع لعدم قدرته على اثبات ذاته في الواقع الاجتماعي العربي، ولم يعترف به كعلم قائم بذاته

سواء على مستوى الهيئات المسؤولة أو على المستوى الشعبي.

ب- بعض المنتجات الفكرية للأوائل:

سأحاول في هذه الفقرة تحديد أهم الأعمال التي أنجزها هؤلاء المفكرين الأوائل وهي ظروف ممهدة لنشؤ علم الاجتماع في الوطن العربي، وفيما يلي عرض هذه المنتجات الفكرية.

- صدر كتاب "لنقولا حداد" في علم الاجتماع في جزئيين بالهيئة الاجتماعية تشريحا وتحليلا عام 1924م، والجزء الثاني بتطور الهيئة الاجتماعية 1935م، حيث حاكى الداروينية والتطورية، وقرأ أعمال سبنسر وترجم منها نصوصا كاملة.

- أما " سعد داغر " في أبريل 1925 يقول " أن كتاب علم الاجتماع وحيد في بابه، فريد في نوعه، لم ينتج بعد على منواله ولا سمحت قريحة كانت عربي بمثاله.

- كتب "عيسى إسكندر " في مجلة" ألف باء "، بالشام أننا بحاجة كبيرة إلى معرفة أصول علم الاجتماع وتدريسه في مدارسنا، وكتب "وديع ستيانى " في مجلة فلسطين "فيا أمة السياسة ويا أفرادها: كتاب علم الاجتماع مفتاح السياسة.

حيث ظهر كتاب للحقوقي "عارف النكدى" في سوريا (الموجز في علم الاجتماع)، ثم كتب "عبد الواحد وافى" في مصر (النظرية الاجتماعية في الرق 1931م)، وحصل "كاظم الدغستانى" من سوريا (دراسة اجتماعية للأسر المسلمة في سوريا 1932م)، وكتب الأنثروبولوجيا "خالد شاتيلا" من سوريا (الزواج عند المسلمين سنه 1934)،

وكتب "مارسيل عيسي" نظرية سبنسر في الدين سنة 1946م بباريس، وفى سنة 1950 م اطروحة الدكتوراه "لعلى الوردي" من العراق (حول ابن خلدون)، وفى سنة 1951م أطروحة الدكتوراة " زاهدة حميد باشا " حول "ابن خلدون مبدع في علم الاجتماع وأسسه، وكتب " عبد العزيز عزت " من مصر سنة 1949 علم الاجتماع، " و"عبد الفتاح "من العراق سنه 1950 م" و"عبد الكريم اليافي" من سوريا (تمهيد لعلم الاجتماع سنة 1952م).

وفيما يلي عرض المنجزات الفكرية لهؤلاء الرواد الأوائل في الوطن العربي بشيء من التفاصيل الايجاز.

- على عبد الواحد وافى:

رائد من رواد علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، ويعتبر أول رئيس قسم لعلم الاجتماع بالجامعات المصرية، بلغت مؤلفاته 94 عملا حتى 1973م موزعة على موضوعات كثيرة، بعضها يرتبط بموضوعات علم الاجتماع، عما يجب أن يهتم به الباحث في علم الاجتماع ومنها قضايا إسلامية وفقهية واللغة والأديان الأخرى السماوية وغير السماوية، التربية والتعليم والشعر والرسم والفن وتاريخ الازهر والاقتصاد والسياسة والعمل...الخ.

حصل على شهادة الدكتوراه حول النظرية الاجتماعية في الرق من فرنسا، من مؤلفاته (مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون

منشئ لعلم الاجتماع، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، عبقريات ابن خلدون، المدينة الفاضلة، البيت نواة المجتمع، علم الاجتماع القضائي، المجتمع العربي)

- محمد بدوي:

من أعلام علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، ترجم قواعد المنهج في علم الاجتماع ل أيميل دور كايم، ترجم مقدمة في علم الاجتماع ل " أرمان كوفيلييه"، وكتب السحر وعلاقته بالدين عند الشعوب البدائية، أصل الأنواع لداروين، مبادئ علم الاجتماع، التحليل الاجتماعي لظاهرة العمل).

- عبد العزيز عزت:

حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنه 1949م من جامعة القاهرة عن ابن مسكوية وكانت مؤلفاته

هي (تطور المجتمع البشري عند ابن خلدون، فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، تطور المجتمعات المتأخرة، الأسس الاجتماعية للميثاق الوطني، الجريمة وعلم الاجتماع).

- حسن الساعاتي:

من أعلام علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، تحصل على شهادة الدكتوراه سنه 1946م (جنوح الاحداث في مصر)، ومن أعماله (المنهج العلمي عند الأمام الغزالي، علم الاجتماع الخلدونى، قواعد المنهج، علم الاجتماع القانوني، البحث والتطبيق في ميدان البحث الاجتماعي، دراسات في علم السكان، علم الاجتماع الجنائي، التصنيع والعمران).

- مصطفى الخشاب:

رائد من رواد علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة " دراسة اجتماعية للنظم الضحايا والقرابين في علم الاجتماع عام 1949م، أما كتاباته فكانت (المذاهب السياسية، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي، علم الاجتماع ومدارسه، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، المدخل إلى علم الاجتماع، دراسة المجتمع، الاجتماع الحضري، التطورات الاجتماعية في الوطن العربي). تأثر بالمدرسة الفرنسية الدوركايمية، لكنه كتب في النظريات الحديثة الإنجليزية والألمانية، الروسية، والأمريكية.

- أحمد عيسى:

رائد من رواد علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، حصل على الدكتوراه من جامعة باريس في

الأنثروبولوجيا سنة1950م، ترجم كتاب "المجتمع " (لماكيفر وبدج)، وكتب (نظام القرى في غرب الدلتا، طرق البحث في علم الاجتماع المقارن، المنهج العلمي عند ابن خلدون، حياة مزارع، ايكولوجيا الانسان).

- أحمد الخشاب:

رائد من رواد علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، حصل على الدكتوراه من لندن في الأنثروبولوجيا سنة 1952م، وكتب في (العلاقات الاجتماعية، علم الاجتماع الديني، دراسات أنثروبولوجيا، الارشاد الاجتماعي، التغير الاجتماعي، الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي، علم الاجتماع الإسلامي، في التخطيط الأخلاقي).

- أحمد أبو زيد:

رائد من رواد علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، حصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد سنه 1955 ومن مؤلفاته (تايلور، الأنثروبولوجيا والقانون نظام طبقات العمر دراسة في الأنثروبولوجيا المقارنة، سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية، العلاقات الإنسانية وسيكولوجية التوافق في مجال العمل والإدارة، علم النفس الاجتماعي، أزمة العلوم الإنسانية، الفكر واللغة، دراسات في الفلكلور، المرأة والحضارة، الهجرة وأسطورة العودة).

- سيد عويس:

حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع الجنائي من أمريكا 1952م، أما كتاباته فهي (بيوت الملاحظة للأحداث المنحرفين، دراسة حالة موارد المياه وطرق صرفها في حي

بولاق، الشخصية الاجتماعية لرجل البوليس، مفهوم التربية الأخلاقية في المنظور العربي الإسلامي، القيم الاجتماعية التي يجب أن نغرسها في نفوس الأطفال).

- محمد طلعت عيسى:

رائد من رواد علم الاجتماع في مصر والوطن العربي، حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون بفرنسا كتب (مناهج التدريب في ميادين الخدمة الاجتماعية، الخدمة الاجتماعية كأداة للتنمية، التأمين الاجتماعي فلسفته وتطبيقاته، هل حلت الجامعة مشكلات الشباب).

- عبد المنعم شوقي:

حصل على الدكتوراه من أمريكا سنه 1958 كتب عن (علم الاجتماع الحضري، تنمية المجتمع وتنظيمه،

الخدمة الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي العربي، المجتمع العربي والقومية العربية).

ثانيا: الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي:

نظراً للطبيعة المزدوجة لوظيفة علم الاجتماع ولوضعه الراهن فإن تحليل أزمته وطرح تصور لتجاوزها لن يتوقفا عند حدود المناقشة العلمية الوضعية، وإنما سيتجاوزان ذلك إلى طرح رؤى واختيارات ذات مضمون أيديولوجي.

وسيتم مناقشة هذا الطرح بتبني أربع مسلمات مهمة وهي:

1- أن الوضع الراهن لعلم الاجتماع في الوطن العربي هو وليد عدد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسة الموضوعية، وعامل من عوامل تكريسها

في الوقت نفسه، أي أن العلاقة بين أزمة المجتمع علاقة جدلية ويلزم أن يتم تحليلها وتشخيصها والتعامل معها على هذا الأساس.

2- أن جانبا صغيرا فقط من انتاج المشتغلين بالعلم يمكن أن يستثنى من الأزمة بالمعنى الذي نقصده في هذا الطرح، وأن الجزء الأكبر والأقوى تأثيرا من انتاجهم في أزمة.

3- أن الحالة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن ليست ابدية وانما هي حالة يمكن تجاوزها وان كان الطريق شاقا والسير فيه مجهدا.

4- ان تخليص علم الاجتماع في الوطن العربي في أزمته يرتبط إلى حد كبير بحل أزمة المجتمع وإن كان هذا لا ينفى ان علم الاجتماع يمكن أن يكون أداة من أدوات

التعامل مع أزمة المجتمع وتجاوزها وأن يكون المشتغلون بالعلم أو بعضهم على الأقل من بين طلائع حركة التحرر والتقدم والوحدة.

ولكي نكون أكثرا تحديدا نرى أن الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي نتجاوز الشكليات والفرعيات التي تتردد بكثرة في التحليلات السابقة، والتي تؤثر في وضع العلم بدون شك ونحن نعتقد أن الأزمة تتمثل في عدد العناصر الأبعد عمقا التي من أهمها:

أولا: أن اغلب المشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي يتجهون إلى العمل فيه على نحو يخدمون به مصالح فئات أو جماعات لا تمثل جماهير الشعب، وهذا بعبارة أدق يمثل انحيازهم الاجتماعي.

ثانيا: أن كثير من المشتغلين بعلم الاجتماع في وطننا ينتمون أيديولوجيا إلى الاتجاهات المثالية المحافظة، وهي التي اميل إلى مقاومة محاولات تغيير الوضع القائم تغييرا جذريا، ومن ثم لا تفيد كثيراً في محاولة تقديم تحليل اجتماعي نافذ.

ثالثا: أن هذين الأمرين يؤثران في أنشطة المشتغلين بالعلم سواء في التدريس أو البحث على النحو التالي:

1- ان الكثيرين يخفقون في اختيار موضوعات الدراسة والبحث ذات معنى وترتبط بهموم الانسان العربي الأساسية.

2- ان طريقة طرح مشكلات الدراسة والبحث تأتى خاطئة في أغلب الحالات.

3- ان التصميم المنهجي يأتي معيبا ويتعثر تنفيذ خطط البحث.

4- ان التقليد الشائع هو القنوع بوصف الظواهر التي تطرح للدراسة أو البحث وعدم الاهتمام بالتفسير والتنظير، سواء بالأبداع أو الإفادة من التراث القومي والعالمي.

5- ان ثمة هوة واسعة بين عمل المشتغلين بالعلم ونتاج جهدهم من جهة والسياسة الاجتماعية والعمل الاجتماعي من جهة آخري.

6- اننا لا ننتج علما حقيقا، وانما نستورد ونستهلك بدون تبصر ونخلط في ذلك بين ما يمكن ان يفيد وما لا غنا فيه.

هذه هي أخطر ابعاد الأزمة وما يجب ان نعرفه هو أن مستقبل علم الاجتماع في ظل الأزمة الراهنة بالغ التعقيد، ولهذا يهمنا أن نبين أن نقدمه ليس أكثر من جهد استطلاعي

في شكل تصور ووجهة نظر، نسهم به في محاولات تحليل واقع علم الاجتماع في الوطن العربي تحليلا نقديا بقصد الوصول إلى تشخيص لأزمته، واستراتيجية وسياسة وإجراءات كفؤة لتجاوزها.

وسنحاول تجاوز الأمور الشكلية والجوانب الثانوية الأهمية في الأزمة، ونبحث عن العوامل الرئيسية والظروف المؤثرة في بنية العلم وتوجهاته والسياق الاجتماعي والاقتصادي الذي يظهر فيه والعلاقة العضوية التي تربط بينها.

ثالثا: نحو مستقبل مرغوب لعلم الاجتماع في الوطن العربي:

ان السير في اتجاه صورة بديلة للعلم، رؤيته وممارساته ومهامه تقضى احداث تغييرات مقصودة

ومحسوبة في الممارسات المسيطرة، كما تقتضي عملا إيجابيا لإرساء دعائم الحركة الهادفة، ومع أنى لا أملك وصفات جاهزة في هذا الاتجاه، فإنه بالإمكان طرح عدد من الأفكار القابلة للمناقشة والتطوير في هذا الصدد منها:

- ان السعي الجاد لتحديد هوية لعلم الاجتماع في الوطن العربي، قضية تحتاج إلى جهود مكثفة. أن مقومات هذه الهوية يجب أن تنطلق من طريق التفكير والمصالح المجتمعية الحالية والمستقبلية، والخصوصية التاريخية والمعاصرة للمجتمع العربي في علاقاتها بأنماط تطور مجتمعات أخرى شاركتنا التاريخ وتشاركنا الواقع المعاصر، ان التخوف من أي قضية معرفية تخوف مسبق يجب أن تحسمه البحوث والدراسات، فقضية الخصوصية والقوانين

العامة لتطور المجتمعات البشرية، قضايا مشروعة بحثيا، وحسمها سيوفر وقتا، ويصحح رؤى كثيرة تطرح باستعجال.

- ان إمكانية تغيير مسيرة العلم من مواجهتهم لتحديات الواقع العربي يصعب عليهم هذه المواجهة وحدهم متفرقين منعزلين ومن ثم عليهم البحث عن صيغ تنظيمية غير رسمية تجمعهم سويا، لتنظم حركتهم وتعبئ جهودهم وتعظم عوائد نشاطاتهم وممارساتهم، ان من أهم متطلبات هذا التنظيم صوغ حد معقول من رؤية مشتركة تحدد المهام وموجهات العمل وتضع ميثاقا قويا لمهام العلم والتزاماته أمام الجماهير العربية، وتنظم العلاقات بين المشتغلين بالعلم وفق مبادئ وقيم أساسية يلتزم بها أعضاء هذا التنظيم. ان معظم من اهتموا بمواجهة أزمة علم الاجتماع على المستويين المحلى والعالمي أكدوا ضرورة وجود تجمعات اجتماعية ينتمي إليها

المشتغلون بعلم الاجتماع، والسعي لخلقها إذا لم تكن قائمة بالفعل، ان هذه التجمعات التي يلتقي معها المشتغل بعلم الاجتماع، أيديولوجيا واجتماعيا -الاختيار الطبقي- ضرورية للمشاركة في التخطيط لخلق الظروف الضرورية للتحرر الإنساني.

- من الضروري تدارس أسس وقضايا الصراع مع الطرف المهيمن داخل العلم، حتى يكون هذا الصراع ملتزما وايجابيا في نتائجها، بما يخدم تغيير مسيرة العلم.

- التفاعل مع القوى الاجتماعية حاملة إمكانية تغيير المجتمع العربي شرط ضروري يؤمن حركة أعضاء هذا التنظيم ويثرى وعيهم بواقعهم، ويساعد في ترتيب الأولويات والمهام المطروحة على العلم، وفى مقدمة هذه القوى المنتجون

الحقيقيون من العمال والفلاحين وصغار الموظفين والمثقفين العضويين المشغولين بهموم القوى حاملة إمكانية التغيير.

- يستلزم الأمر تجميع الأفكار والمقترحات المختلفة التي حملتها جهود عربية سابقة لتحليلها، وتعميقها وتحديد موقف منها، فرصد هذه الأفكار وتلك المقترحات وتصنيفها يساعد في تحديد الجوهري منها والثانوي.

خاتما:

ليس صدفه أن هامشية علم الاجتماع تواكب هامشية الفرد والمجتمع المدني في أقطار الوطن العربي وبصرف النظر عن اختلاف العوامل المسببة لهذين النوعين من الهامشية، إلا أن تقليصهما قد يكون جزءا من العملية المجتمعية نفسها، وربما يكون مبالغة في التفاؤل أن يكون

علماء الاجتماع العرب هم الطلائع والضمائر التي تقود هذه العملية المجتمعية، ولكن ليس من المبالغة في شيء ان يقدم علماء الاجتماع العرب عناصر الترشيد الضرورية لهذه العملية المجتمعية. باختصار يستطيع علماء الاجتماع العرب ان يقدموا فهما شاملا للذات المجتمعية -بكل جوانبها السائلة والمتجمدة.

لقد كان أداء هذه المهمة هو الداعي لظهور واستمرار علم الاجتماع في البلدان الأكثر تقدما وهي تمر بعمليات التغير والتحول المجتمعي الكبير، ورغم اختلاف السياق الاجتماعي والتاريخي لمسيرة الوطن العربي إلا انه يمر بعمليات وتحول وتغير لا تقل عمقا أو شمولا.

ومن ثم وجب على كل علماء الاجتماع العرب أن يقبلوا المهمة وخوض التحدي من أجل بناء مستقبل لعلم الاجتماع في الوطن العربي.

الفصل الثالث

الانثروبولوجيا في الوطن العربي

أولا :مفهوم الانثروبولوجيا.....

ثانيا :طبية الانثروبولوجيا.....

ثالثا :اهداف الانثروبولوجيا.....

رابعا :الانثروبولوجيا في الوطن العربي.....

خامسا :واقع الانثروبولوجيا في الوطن العربي.....

سادسا :نحو الانثروبولوجيا عربية معاصرة.....

سابعا :بعض دراسات الانثروبولوجيا.....

مقدمة:

تعد الأنثروبولوجيا من المرتكزات العلمية المهمة التي اعتنى بها المستعمر لدراسة المجتمعات التي كان يسعى للسيطرة عليها، من خلال استخدامه للدراسات الإنسانية لمعرفة عادات وتقاليد تلك الشعوب ونمط تفكيرها وكذا نقاط ضعفها وقوتها. ومن هذا الفصل نحاول التركيز على الأنثروبولوجيا العربية تاريخها الدراسات المجرات من قبل الأخصائيين في هذا الشأن.

أولا : مفهوم الأنثروبولوجيا:

إن لفظة أنثروبولوجيا، هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: "أنثروبوس" ومعناها الانسان و "لوجوس" ومعناه علم، وبذلك يصبح

معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان.

تعرف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة... ويقوم بأعمال ويسلك سلوك محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس حياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.

فالأنثروبولوجية بوصفها دراسة للإنسان في إبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس

البشرى والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابيه ودينية وقانونية وما إليها...وكذلك عن الابداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل : التراث الفكري و أنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطى عناية خاصة للمجتمعات التقليدية.

كما تعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنها العلم الذي يدرس الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا أي أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته أو منعزل عن أبناء جنسه إنما تدرس بوصفه كائن بطبعه، يحيا في مجتمع معين له مميزات الخاصة مكان وزمان معين.

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها.

إذا فالأنثربولوجيا هي دراسة الأنسان بكل ما يملكه من عادات وتقاليد ونمط وعيش وكذا طريقة تفكيره وطموحه، اهتماماته ونمط سلوكه سواء كان بدائيا أو متحضرا.

ثانيا: طبيعة الأنثروبولوجيا:

إن الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية جميعا تطلق على الأنثروبولوجيا "علم الأنسان وأعماله" بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوربية غير الناطقة بالإنجليزية على دراسة الخصائص الجسمية للإنسان ويصل هذا

الاختلاف إلى طبيعة علم الأنثروبولوجيا، فبينما يعنى في أوروبا الأنثروبولوجيا الفيزيقية وينظر على علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين، فإن الأمريكيون يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا أو الأثنوجرافيا بوصف الاثنوجرافية الثقافية والتي يطلق عليها البريطانيون الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وفى إنجلترا مثلا يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا على دراسة الشعوب البدائية والمعاصرة.

فعلم الأنثروبولوجيا يركز اهتمامه على كائن واحد هو الإنسان ويحاول فهم أنواع الظواهر المختلفة التي تؤثر فيه في حين تركز العلوم الأخرى اهتماما على أنواع محددة من الظاهرات التي وجدت في الطبيعة وكان علم الأنثروبولوجيا ومازال يحاول فهم كل ما يمكن فهمه أو

معرفته عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين وكذلك فهم سلوكه الذي يفوق الطبيعة الجسمية الفردية.

ثالثا: أهداف الأنثروبولوجيا:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم، في الحياة اليومية.

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان.

- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية.

- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها.

لذا فأهداف الأنثروبولوجيا متعددة كونها تتعامل مع جنس بشرى سريع التغير في سلوكه ونمط حياته، لذا تسعى لمعرفته معرفة دقيقة من حيث الثبات والتغير، والتنبؤ بالتغيرات التي ستطرأ عليه بمعرفة واقعة.

رابعا: الأنثروبولوجيا العربية:

سنركز في هذا المبحث على الأنثروبولوجيا العربية كيف نشأت وما هو واقعها اليوم، لإعطاء نظرة ولو بسيطة حول استعمالاتها في الحضارة العربية الإسلامية ومن سبق الغربيين في هذا الشأن، لنظهر الفائدة من الدراسات العربية لهذا العلم.

نشأة الأنثروبولوجيا وتاريخها عند العرب في العصور الوسطى:

يروى عيسى الشماس تفاصيل عن الأنثروبولوجيا العربية الإسلامية من بدايتها:

وتمتد من منتصف القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً. حيث نهاية القرن الرابع عشر تقريبا. حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار، وقد تضمنت هذه الحضارة: الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.

وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي احدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس

في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم.

ولذلك، برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، كمعجم البلدان لياقوت الحموي، وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في الرابع عشر ميلادي مثل "مسالك الأمصار لابن فضل الله العمري، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري.

وإلى جانب اهتمام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران، فقد تميزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

وهناك من تخصص في وصف إقليم واحد مثل "البيروني" الذي عاش ما بين 362-440 هجري ووضع

كتابا عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل "ووصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية. واهتم أيضا بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس. وأبرز "البيروني" في هذا الكتاب، حقيقة أن الدين يؤدى الدور الرئيس في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات.

فما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان: فمن أفعالهم قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسمح أحدا في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب. ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان (البيض

والأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة. وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذه مستحقه.

خامسا: واقع الأنثروبولوجية العربية:

يقول المؤرخ العربي جمال الدين الشيال أنقلب الأوروبيون إلى ديرهم بعدما منوا بالهزيمة في الحروب الصليبية، وقد بهرتهم أنوار الحضارة العربية الإسلامية وأخذ مفاتيح تلك الحضارة فتفرغوا لها وينقلون آثارها، ويدرسون توليفاتها، وقد ساعدتهم عوامل آخري تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية على أن يسيروا بالحضارة في طورها الجديد على الطريقة الجديدة تعتمد على التفكير الحر أولا وعلى الملاحظة والتجربة والاستقرار ثانيا، تمهد هذا كله لهم السبيل إلى كشوف علمية جديدة شكلت الطلائع

لحضارة القرن 19 و20 وعلى الرغم من اعتراف بعض مفكري أوربا بتأثير التراث الحضاري العربي على الحضارة العربية الحديثة فقد ساد اتجاه ناكر متنكر لهذه الحقيقة التاريخية من خلال السعي نحو طمسها.

تجدر الإشارة إلى أن الأنثروبولوجيا تميزت ثلاث مراحل وهي:

المرحلة ما قبل الكونيالية بكل من شال دوفوكو وأوغست موليراس وجورج سالمون، أما المرحلة الكولونيالية بكل من ايميل لأوست وروبير مونتانى ولويس برنو، وجورج هردي وجاك بيرك. أما المرحلة ما بعد الكولونيالية مثلها كل من ارنست غيلتر وجون. وأهم ما ميز المرحلة ما قبل الكولونيا ليلة هو المعرفة الملتبسة بالاستكشاف استكشاف المغرب بالإضافة إلى الصعوبات

التي كانت تعترض رحلة السفر والبحث عن المادة الاثنوجرافية

أما المرحلة الثانية: فقد خفت فيها صعوبات التعاطي مع المهنة الناجمة عن علاقات القوة أو دعم الاجارة المباشر وهو ما أتاح للاثنوجرافي أكثر هامش للتحرك، وملاقاة الأهالي دونما تقنع كما حصل في المرحلة ما قبل الكولونيالية، أكان في شخصية "يهودي" كما كان بالنسبة إلى دوفوكو أم في شخصية "درويش" محمد بن الطيب الذي اعتمده أوجست موليييراس في صوغ كتاب "المغرب المجهول".

وعلى الرغم من غنى العلوم في التراث العربي، فإن علم الأنثروبولوجيا لم يلقى الاهتمام في الدوائر العلمية والبحثية العربية كما هو الحال في المؤسسات الغربية

وباحثيها سواء في البحوث الميدانية التطبيقية أو الدراسات الأكاديمية، كالدراسات الفلسفية والنفسية والتربوية. وثمة بعض الباحثين العرب يشرون إلى أن الأنثروبولوجيا دخلت في الثلاثينات من القرن العشرين تحت مسمى علم الاجتماع المقارن، على أيدي عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين مهم (ايفانز بريتشارد، هو كارت، بريستافى)، ممن تولوا التدريس في الجامعة المصرية، ثم جاء بعدهم في الأربعينات عميد الأنثروبولوجيين (راد كليف براون)، الذي قام بتدريس الأنثروبولوجيا في جامعة الإسكندرية تحت اسم (علم اجتماع المقارن)، لعدم احتواء برامج التدريس الجامعي في ذلك الحين على مادة الأنثروبولوجيا.

ولهذا فمن الضروري العمل على فحص التراث العربي الإسلامي بتنوعه وغزارته. ودراسته دراسة معمقه

وخاصة تلك الأعمال ذات الصلة المباشرة بالأنثروبولوجيا. وعلى الرغم من غنى العلوم في هذا التراث العربي فإن علم الإنسان لم يلف الاهتمام في الدوائر العلمية والبحثية العربية كما هي الحال في المؤسسات العلمية الغربية وباحثيها سواء في البحوث الميدانية أو في الدراسات الأكاديمية.

ويرى ريتشارد أنطوان في عرضه للدراسات الأنثروبولوجية في منطقة الشرق الأوسط حقيقة هامة عن البدايات الأولى للدراسات الأنثروبولوجية في مصر ترجع لثلاثينات القرن الماضي عندما استضافت الجامعة المصرية بعض أساتذة الأنثروبولوجيا البريطانية البارزين، وكانوا يلقون محاضراتهم بانتظام في تلك الجامعات جامعة القاهرة اليوم، ومن هؤلاء "هوكارت وايفانز بريتشارد وبريستانى"، ولكن المفارقة أن أولئك الأساتذة كانوا يعدون أساتذة لعلم

الاجتماع ودرسوا علم الاجتماع بالفعل لطلاب اقسام الجغرافيا والفلسفة والاجتماع، وأن راد كليف براون أول أستاذ بريطاني يفد إلى مصر أستاذا للأنثروبولوجيا عام 1947م، عندما استقدمته جامعة الإسكندرية، وكان براون من أنجب تلاميذ مدرسة الإسكندرية في الأنثروبولوجيا الدكتور أحمد أبو زيد الذى شغل أول كرسي للأنثروبولوجيا في مصر 1970م وأن الدراسات الأنثروبولوجية المصرية منذ بداياتها بالدراسات الميدانية كدراسات على عيسي واحمد أبو زيد وعاطف غيث.

فتاريخ علاقة الفكر الأنثروبولوجى الغربي بالمجتمع والثقافة في العالم العربي تجسدت في أعمال "ايفانز بريتشارد وارنست غيلنر ومن واقع انتمائهما للثقافة الأوروبية المعاصرة أي اعتبارهما مثقفين قبل أن يكونا

أكاديميين، فهم هذا الواقع الاجتماعي والثقافي ذي الخاصية العربية الإسلامية، هذا الواقع الذي يقع في مقابل الغرب الثقافي والاجتماعي وكان الهاجس الأهم يشكل صلب اهتمام "غيلنر" في هذا الجانب.

ومثلما ذهب المعلم بريتشارد إلى البحث في العوامل المحلية المساعدة في إعادة التوازن في الانقسامية القبلية. أي فيما رآه المعلم من دور للإسلام بالاعتبار نظاما أيديولوجيا، تجسد في التنظيم الاجتماعي لأبناء برقة في ليبيا وفى الحركة الصوفية السنوسية هكذا أيضا سعى "غيلنر" وهذا ما أوضحه في كتابه أولياء الأطلس حين حاول إيضاح كيف كان الصوف الإسلامي يؤدى عبر نظام الزوايا والأولياء، أدوار تعتبر مفصلية في إعادة التوازن إلى بنى اجتماعية، يدفع بها نظامها الإيكولوجى نحو الانقسام

المتتاليين : هذا من جهة أما من الجهة الأخرى فقد عزا معظم الباحثين العرب عدم الترحيب بالأنثروبولوجيا وانتشارها في العالم العربي إلى سببين أساسين :

- عدم تقبل التطور الحيوي عند الإنسان بالنظر لتعارضها مع الفكر الديني.

- ارتباط نشأة الأنثروبولوجيا وبدايتها التاريخية بالاستعمار.

فالسبب الثاني يؤكد ارتباط نشأة الأنثروبولوجية وبدايتها التاريخية بالاستعمار، حيث كانت الدراسات تتم على المجتمعات البدائية والمتخلفة، بهدف معرفة بنيتها التركيبية وطبيعتها الثقافية مما يسهل استعمارها في الوقت الذى كان فيه المجتمع العربي يعانى من الاحتلال والاستعمار، ويسعى للتحرر والتقدم، فكلما ارتبطت الجغرافيا مثلا بمشاريع علمية كانت تهدف إلى تحقيق كشوفات جديدة تتعلق بتحديد طبيعة

الكرة الأرضية أي التخوم اليابسة منها وأقاليمها وبيئاتها الجغرافية، كذلك توزيع البحار والمحطات، وكذلك ارتبطت الأنثروبولوجيا واهتماماتها (البيولوجية والثقافية والاجتماعية بمشاريع استكمال معارفها حول الإنسان، وبيئاته خارج أوربا، وقد أتت ظروف الاستعمار في القرن التاسع عشر، لتمهد الطريق لتلك المشاريع العلمية، وبذلك ارتبط تاريخ الفكر الجغرافي والأنثروبولوجي بالخبرة الاستعمارية، وبإقليم ومجتمعات وثقافات غير عربية.

ويمكن القول إن الدراسات الأنثروبولوجية مهمة جدا خاصة بالنسبة للباحثين العرب، لأن هذا المجتمع السباق لهذه الدراسات وما قام به البيروني في الهند لدليل أن العرب والمسلمين كانوا السباقين لمثل هذه الدراسات، إلا أن حالنا اليوم المتخلف في جميع الأصعدة يشير أن الأنثروبولوجية

العربية تعاني كبقية العلوم الأخرى وخاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية، من نقص الرؤية الاستراتيجية ونقص الرؤية الاستراتيجية ونقص التمويل الحكومي والخاص لمثل هذه الدراسات، إلا ان هناك أمل بإحداث أنثروبولوجية عربية عصرية ومعاصرة.

سادسا: نحو أنثروبولوجيا عربية معاصرة:

يعد مفهوم الثقافة من أهم المداخل والإسهامات التي قدمتها الأنثروبولوجيا للفكر والعمل الإنسانيين فمن خلالها حسب "كلايد كلوكهن" تضع الأنثروبولوجيا أمام الإنسان مرآة تمنحه صورة أوضح لنفسه وأقرانه وتسهم في نشأة المجتمع وطبيعة وظائفه ومنظماته كما توضح دوافعنا وسلوكيتنا فضلا عن دوافع الآخرين وسلوكياتهم... ويزداد

تأثير الأنثروبولوجيا وضوحا في ميادين الفلسفة والآداب والسياسة.

وفى إطار الاتجاه الحالي في كثير من البلدان العربية نحو التحديث والارتقاء بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي التكنولوجي دون إحداث أضرار بالقيم والتقاليد الدينية والتراث الاجتماعي والتقاليد الأصلة بل لها دورا كبيرا في إبراز هذا التراث ودراسة تلك التقاليد وإحياء الحضارة العربية في مجال مشروعات التنمية وذلك من خلال تحليل مفهومات الأنثروبولوجيا الثقافية ودراستها ميدانيا.

وانطلاقا من الرؤى لتطور أنثروبولوجيا عربية، فإنه ثمة أمثلة مطروحة أمام الأنثروبولوجيا العرب. لابد من الإجابة عنها وتطويرها من خلال فهم النقاط التالية:

- التحليلات الأنثروبولوجيا للبنية الاجتماعية على الفاعلين النموذجيين بل على النماذج المتغيرة للعلاقات والظروف المجتمعية.

- أن تحمل الروايات الأنثروبولوجيا المتعلقة بالمثقفين الفاعلين على ترجمة الخطابات التاريخية لهؤلاء المثقفين وتمثيليتها على أنها انتخابات لخطابات الآخرين.

إن كون الأنثروبولوجيا كعلم له خصوصيته وطرائقه، غربي المنشأ والتطور، فهذا لا يعنى تجاهل أو إنكار أن العرب اسبق من الغرب الأوربيين (في دراسة الثقافات الأخرى، وصفا ومقارنة، وفى وضع المبادئ والأسس المنهجية للبحث والدراسة في العلوم الاجتماعية).

وعلى مدى أربعة قرون ونصف (الفترة بين القرن الثامن الميلادي الى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي)،

نجد أن العرب كانوا عباقرة الشرق في علوم الفلك والطب والاجتماع والفلسفة وغيرها، بينما كانت اللغة العربية هي اللغة الأساسية في العلوم.

ولهذا فمن الضروري العمل على فحص التراث العربي الإسلامي بتنوعه وغزارته ودراسته متأنية ومتعمقة، ولا سيما تلك الأعمال ذات الصلة المباشرة بالأنثروبولوجيا، من أمثال مؤلفات "أخوان الصفا "، وكتاب "الحيوان" (للجاحظ وأحمد بن مسكويه) الخاصة بآرائه عن النشؤ وتحول الاحياء بعضها من بعض وغيرها.

- ومن التصورات نحو أنثروبولوجيا عربية معاصرة ما تساهم به الدراسات الميدانية التي قام بها عدد من الباحثين العرب في مناطق متعددة من الوطن العربي، ونشرت هذه الدراسات في الدوريات المجلات (العلمية العربية) منها:

مجلة عالم الفكر وزارة الإعلام الكويتية، ومجلة المستقبل العربي التي تصدر عن كليات الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعات العربية، إلى الندوات والاجتماعات، على غرر علم الاجتماع التحضيري الذي عقده الاتحاد الدولي للعلوم الأنثروبولوجية في مصر سنه 1986.

إن هذه التوجيهات تبشر دون شك بأن الأنثروبولوجيا العربية مستقبل زاهر، سواء في منطلقاتها النظرية، أو في أهدافها التطبيقية، وأن تبتعد مادتها عن النقل من دون نقد أو تطوير، فإذا ما تم لها ذلك يمكن أن تتعزز أصالتها العربية وإسهاماتها العالمية في هذا الميدان.

ومن بين مهام الأنثروبولوجيين العرب في الوقت الحاضر إلا تقتصر جهودهم على إبراز النسق العربي على الغرب بصدد بعض المفاهيم النظرية فحسب، أو جمع المادة

الاثنوجرافية، وإنما لابد أن تتضمن دراستهم الفحص الدقيق للأعمال التراثية بهدف الكشف عن الجوانب المنهجية المشتركة عند الشرقيين.

- تتجه دراساتها نحو مشكلات المجتمع العربي، وتسهم في تقدمه، بما يتناسب مع معطيات العلوم الإنسانية المختلفة، لأن هذا الجهل بهذه العلوم ولاسيما الأنثروبولوجيا مازال سائدا إلى حد ما، ويعوق الدراسات الجدية والموضوعية لطبيعة الثقافات الأخرى وإسهاماتها الإنسانية وحجم هذه المساهمة، وهذا ما يجب أن تؤسس له الدراسات الأنثروبولوجيا المعاصرة، بحيث تظهر تلك العلاقة بين الحضارة العربية والحضارة الإنسانية من جوانبها المختلفة.

وقد تجلى الاهتمام العربي بالأنثروبولوجيا من خلال اعتمادها كتخصصات ومقررات دراسية في الجامعات

العربية (جامعة القاهرة، الإسكندرية، جامعة دمشق، الجامعة اللبنانية، جامعة البحرين وغيرها...) وتتجلى أيضا في قيام الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين العرب، بتأليف الكتب حول الانسان واصوله وحضارته، مفاهيم الأنثروبولوجيا وتطبيقاتها في الدراسات الثقافية والاجتماعية، منها على سبيل المثال كتاب الأنثروبولوجيا تأليف (إبراهيم زرقانه) عام 1958، وكتاب الإنسان "دراسة في النوع والحضارة" تأليف (محمد رياض) عام 1974، وكتاب "الحضارة دراسة في أصولها وقيامها وعوامل تدهورها" تأليف (حسين مؤنس)عام 1978، وكتاب "البناء الاجتماعي -مدخل لدراسة المجتمع" تأليف (أحمد أبو زيد) عام 1985م، وكتاب "الأنثروبولوجيا الاجتماعية" تأليف (صفوح الاخرس) عام

1984، وكتاب الأنثروبولوجيا "علم الأناسة" تأليف (على الجباوي) عام 1977 وغيرها.

سابعا: بعض الدراسات الأنثروبولوجية:

هناك بعض الدراسات الميدانية قام بها عدد من الباحثين العرب، في مناطق متعددة من الوطن العربي، ونشرت العديد من الدوريات العلمية العربية، ومنها على سبيل المثال، مجلة عالم الفكر الصادرة عن وزارة الإعلام الكويتية، ومجلة المستقبل العربي عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، مجلة الفكر العربي المعاصر الصادرة عن مركز الأنماء العربي في بيروت وباريس، إضافة إلى المجلات التي تصدر عن كليات الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعات العربية إلى الندوات والاجتماعات على غرار

الاجتماع التحضيري الذى عقده الإتحاد الدولي للعلوم الأنثروبولوجية في مصر.

ومن الدراسات الأنثروبولوجيا : دراسة "أبو زيد" للماجستير "طقوس الجنائز عند المسلمين المصريين"، وقد استمدت اطارها النظري من كتابات "هرتز، وفان جيب، وراد كليف براون"، وقدمت "علياء شكري" دراستها التغير والثبات في عادات الموت في مصر في العصر المملوكي حتى العصر الحاضر، وتنوعت الرسائل التي أشرفت عليها "علياء شكري" منها: (رسالة ماجستير سعاد عثمان عن الأولياء).

برز في هذه الفترة أيضا د. إحسان محمد الحسن الذى هيمن بنشاطه ومطبوعاته التي زادت على السبعين كتابا خلال عشرين عاما حتى بداية التسعينات من القرن الماضي

عندما بدأ نجمه بالأفول بسبب اكتشاف نزعة التكرار والعمومية والكمية في أعماله، إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بشخصيته وميله إلى التبسيط والإيجاز والتساهل، إذ لم يترك الحسن ميدانا من ميادين علم الاجتماع إلا وطرقه مدعيا بلا تردد أنه يتضلع فيه سواء كان في ميدان علم الاجتماع الصناعي أو علم الاجتماع العائلة أو علم الاجتماع السياسي أو الحضري أو الديني وما إليها بل وحتى في ميدان علم الاجتماع العسكري وعلم اجتماع الممارسات الرياضية، ولم يغفل الحسن مسألة الترجمة، إلا أن العمل الذى ميز د. الحسن إنما هو كتابه " الأنبياء " في هذا الكتاب زملائه من علماء علم الاجتماع في العراق أن هذا الكتاب يمثل حقلا جديدا في مجال علم الاجتماع يقوم من حيث الأساس على فكرة أنبياء الله سبحان وتعالى هم عراقيون إما بالولادة أو

بانحدار النسب ويبرر الكاتب اختيار العراق مهبطا للرسل والأنبياء وهى بنظره أن :

1- العراق موطن أولى الحضارات البشرية.

2- أخلاق العراقيين الفاضلة.

3- أن العراقيين يكرهون كل ما يتسم بالصفات السلبية كالكذب والرياء والخيانة كان أيضا مبعث القادة والعظماء والأبطال عبر التاريخ كمحورابى ونبوخذ نصر وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي وصدام حسين.

عاد د. عدنان ياسين مصطفى إلى العراق عام 1990 بعد نيلة شهادة الدكتوراه في مجال علم اجتماع التنمية من الجامعة البريطانية عن أطروحته "النساء والتنمية في سيلق حضري" دراسة للنساء المهاجرات في مدينة

الموصل، اهتم د. مصطفى بمشكلات المجتمع الحضري والسلوك المنحرف وظهور المجتمع المدني إضافة إلى قيامه بمراجعة تراجم بعض الكتب وبخاصة تلك التي صدرت عن بيت الحكمة إلى جانب عمله كتدريسي في كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

أما بشأن الأنثروبولوجيا العربية مستقبلا فإنها تبشر بمستقبل زاهر شريطة أن تعمق هويتها العربية، سواء في منطلقاتها النظرية، أو في أهداف التطبيقية، وأن تبتعد مادتها عن النقل من دون نقد أو تطوير وإذا ما تم لها ذلك يمكن أن تعزز أصالتها العربية وإسهامها العالمي في هذا الميدان وهذا ما أكده " كالتون كوون " منذ 1953 في مقال بعنوان " أنثروبولوجيا العرب " حيث قال الأمور الحيوية أن تقوم الشعوب التي تقطن البلاد العربية بالمشروعات

الخاصة به، و أن تجد الوسائل التي ترفع من مستويات المعيشة لسكان جميعهم، لا لمصلحة هذه الشعوب فحسب، ولكن لمصالح العالم كله، فعلى العرب أن يعنوا بالأنثروبولوجيا ويدرسوها مدركين تلك الحقيقة التي تتلخص في أن خير طريق يتبعه أي إنسان أو أي شعب، إذا أراد أن يصنع أي شيء من الأشياء هو أن يحزم أمره ويصنعه بنفسه.

إن معظم الدراسات الأنثروبولوجيا في الوطن العربي قام بها الاستعمار لمعرفة نمط عيش وطريقة تفكير هذه المجتمعات ليسهل له الطريق لاختراقها واستغلالها، وبعد الاستقلال ترعرع الباحثون الأنثروبولوجيين العرب أيدى غربين، مما يعزز مكانة الغربيين في الدراسات الأنثروبولوجيين، إلا أنها اقتصرت على المجتمعات العربية سواء الدراسات المصرية أو العراقية وغيرها، إلا أنها اقتصرت على المجتمعات

العربية أي نفس البيئة نشأ فيها هؤلاء الباحثين، هذه الاجتهادات الفردية توحى بإن واقع هذه الدراسات مؤلم كباقي الدراسات والبحوث الأخرى، لغياب الدعم المادي والمعنوي من قبل مؤسسات الدول العربية، لكن قد هناك أمال معلقة وطموح زائد أن تتحسن هذه الدراسات ويرفع عنها الحجر، وتلبى إمكانيات الباحث للقيام بهذا الدور بعد شعور المؤسسات الرسمية في العالم العربي بأن هذه الدراسات مفتاح أي استقرار اجتماعي، وكذا مفتاح للاستثمارات الخارجية والتطلع نحو مستقبل أفضل.

الفصل الرابع

النظرية العصبية لابن خلدون

تمهيد .....

أولا: نبذه عن ابن خالدون.....

ثانيا: مفهوم العصبية.....

ثالثا: النظريات الخلدونية.....

رابعا: أسس قيام الدولة لابن خلدون.....

تمهيد:

يعتبر ابن خلدون سابق عصره هادفا في علمه وفهمه للوقائع الاجتماعية التاريخية، حيث أسس علم العمران البشرى وطرح عدة نظريات ترتكز عليها الشعوب والأمم، ومن بين هذه النظريات التي لازالت تشهد على ما قاله ابن خلدون "نظرية العصبية " التي سنحاول تشخصيها وفهم أطرها ومعالمها من خلال هذا الفصل.

أولاً: نبذة عن ابن خلدون:

عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الأشبيلي ولد في تونس عام (732). مؤرخ من شمال إفريقيا تونس المولد أندلسي حضر من الأصل، كما عاش بعد تخرجه من جامعة الزيتونة، حيث رحل إلى بسكرة وغرناطة

وبجاية وتلمسان كما توجه إلى مصر، تربى ابن خلدون في أسرة معلمة ومتدينة فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته وكان أبوه هو معلمه الأول، ويعتبر ابن خلدون المؤسس لعلم الاجتماع وأول من وضع أسسه الحديثة وقد توصل إلى نظريات باصرة في علم الاجتماع. حيث يعتبر العلماء العباقرة الذين فتحوا الطريق الجديد نحو عالم الفكر في علم الاجتماع. لاتباعه المنهج العقلاني في البحث أحد أسباب خلوده توفى ابن خلدون عام 1406 عن عمر يناهز 76 سنه بالقاهرة.

ترك ابن خلدون عددا من المؤلفات الانشائية والشعرية لها نفخات سحرية، كتب ورسائل في العقيدة والمنطق، وقد تميز تاريخه الكبير الجامع الذى سماه " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، والذى اشتمل على مجلدات عدة ومقدمة متميزة، جمع فيها العلوم والفنون وصفا وتعريفا ووقف بها على كل الأشياء وتعرف على حقيقة الحوادث والأنباء والأخبار، وفيه صنفت علوم عصره وما قبله، كما أنها عرضت مبادئ التاريخ وفسرته نظرية في العمران البشرى وقالباً فلسفيا لدورة التاريخ ولا سيما العربي والإسلامي. وكتب في الكلام العقيدة مثل لباب المحصل في أصول الدين وشفاء السائل وتهذيب المسائل، أرسل فيها الحجج والآراء منظمة وواضحة، كما له عدة شروح منها: أصول الفقه وشرح البردة كما له مصنفات أشبه برسائل كالتقييد في علم المنطق، والمختصر في وصف العرب، ومختصر في الحساب.

ثانيا: مفهوم العصيبة:

العصبية لغة:

معناها أن يدعو الرجل إلى نصرة معهم على أن ينالهم، ظالمين كانوا أو مظلومين وقد تعصبوا عليهم إذ تجمعوا على فريق آخر قبل تعصبوا.

يعرف بعض الباحثين العصبية بقولهم مشتقة من أصل كلمة "عصب " الذي يعنى حرفيا تجمع "شد" و"أحاط" و "اجتمع"، ثم إن عددا من الألفاظ المشتقة من نفس الأصل، وتتضمن نفس الفكرة وهي عصب جعل شخصا على رأس الحزب. تعصب عصب رأسه بعصابة، كان متعصب، وعصابة جماعة من الرجال، ومعصب زعيم وسيد.

العصبية اصطلاحا:

ويعرفها "ابن خلدون " أنها رابطة اجتماعية نفسية تربط أفراد جماعة بشرية معينة قائمة على القرابة المادية أي رابطة الدم، ومعنوية أي التحالف ربطاً مستمرا يبرز ويشتد في أوقات الخطر الذي يهدد أفراد الجماعة، إذ يرى أنها ظاهرة طبيعية هدفها الاتحاد والالتحام والتناصر لدفع العدوان ومنع النظام ومصدرها القرابة وصلة الرحم.

بينما يخالف هذا الرأي آخرون، فطه حسين على سبيل المثال يرى أن موضوع أبحاث ابن خلدون هو الدولة، يؤيد هذا الرأي محمد عابد الجابري الذي يفسر الموضوع بأسلوب أوضح.

حيث يرى أن محور أبحاث ابن خلدون هو موضوع الدولة غير أنه يقول ان هذا المحور سيتعين بالعصبية كوسيلة لتحقيق الغاية من الدولة. أما " على الوردي

" فيعتقد من جهته أن محور النظرية هو البداوة والحضارة، وما يقع بينهما من صراع أما " لايف كوست " فيرى أن نظرية ابن خلدون أعمق من أن تحصر ضمن إطار ضيق كالعصبية أو الصراع بين البدو والحضر أو غيره... ويعتقد بأن النظرية تبحث في السكان كافة إذ تعالج نشاطهم الإنتاجي والاستهلاكي والروحي سواء كانوا من البدو أو من الحضر أو من أهل الريف ويقول ابن خلدون لخص ذلك كله في عبارة "العمران".

ثالثا: النظريات الخلدونية:

لقد توصل ابن خلدون إلى بناء نظريته لابد من معرفة ما يمكن أن يتبع من مراحل للوصول إلى رأى نهائي بخصوص نشأة الدولة من خلال تصوره لدور القوة والغلبة

على أنه يتوجب علينا هنا محاولة المقارنة بين ما يراه ابن خلدون، وبين ما تم وضعه من نظريات أخرى لنشأة الدولة، والكيفية التي تسقط بها الدول بواسطة العصيبة، وهذه النظريات هي:

أ- نظرية القوة والغلبة:

يجيب ابن خلدون بكل ثقة عن الكيفية التي تنشأ بها الدولة أو الوسيلة تستخدم في قياسها وذلك حينما يذكر بأن الوسيلة عموما هي العصبية في حد ذاتها ليست هي محور نظريته، كما يفقد بعضهم بل المحور الحقيقي هو المبدأ "القوة والغلبة" لأن العصبية بدون قوة وغلبة لا معنى لها كما أن القوة تتحقق غالبا بواسطة العصبية إذن فماذا يفهم من هذا؟ يبدو ابن خلدون لا يسمح بالفصل بين المبدأين، مبدأ العصبية

ومبدأ القوة الغلبة (فهما عنده بمثابة وجهين لدينا واحد غير أن الأسلوب الذى كتب به نصوص نظريته يوحى بإن مبدأ الغلبة أمر لازم ضروري ولا يقبل بغيابي حيث يستعمل الرئاسة عبارة " إن الرئاسة لا تكون إلا بالغالب"، إذن فالغلبة تحتل مكانة أولى في نظرية ابن خلدون فإذا تحققت يصبح أمر قيام الدولة ممكنا وإذا كانت لغلبة تتم في الغالب بواسطة العصبية فمنها يمكن أن تحقق بواسطة عامل آخر غير العصبية، وهنا يمكن فهم السبب في استعمال ابن خلدون أسلوب القطع عندما نتكلم عن الغلبة وتجنب ذلك الأسلوب القطع عندما نتكلم عن الغلبة وتجنب ذلك الأسلوب عند الحديث عن العصبية.

والآن كيف تتوصل العصبية بواسطة القوة والغلبة إلى إنشاء دولة في البداية لابد للعصيبة أن تحقق هدفها الأول

كمنطلق لها، ويتمثل ذلك في توصلها إلى تحقيق مبدأ القوة والغلبة، ثم تندرج بعد ذلك إلى الأمام نظرا للنزعة الكامنة في العصيبة تلك النزعة التي تحفزها للتطلع نحو نشيد ملك ودولة وذلك هو الهدف الثاني لها فرئيس القبيلة.....ينتقل إلى مرتبة الملك عندما تتوفر لديه القوة والغلبة، ولكن ذلك الأمر لا يتحقق إلا بالتدريج، وعبر مراحل ففي البداية يرأس ذلك الشيخ أسرة أو عشيرة يستفيد من قوتهما ونفوذهما وهذا يعرف في اصطلاح ابن خلدون بالعصيبة الخاصة.

أو العصيبة الكبرى ولكي يتمكن ذلك من تحقيق هدفه في الملك لابد أن يتوفر فيه بعض الصفات الخلقية والمادية إذ يحتاج إلى مستوى مادي معين بمؤهلاته المرتبة للرئاسة. وعليه فلا بد أن تحقق فيه ما يسميه ابن خلدون بالحلال بالإضافة إلى الثروة الوافرة والكرم. وكل هذه

الشروط طبعا تدعم عصيبة وتحرر مكانتها، وهكذا يتمكن الشيخ من توحيد العشائر الأخرى التي تنتمي إلى عصبية العامة أو الصغرى كما يسميها ابن خلدون.

وصاحب العصبية يعتمد كليا على مبدأ القوة والغلبة في مسعاه ويعتمد على إنشاء دولته المنشودة على أن مبدأ القوة والغلبة يتم في هذه الحال بواسطة العصبية فالدولة لا تحقيق أهدافه في إقامة دولة ولكن يشترط عند تحقيق هذا المبدأ في المجتمعات القبلية أن تتوفر العصبية الفياضة ذات القوة الفعالية وهي ضرورية ولازمة وفى حال الاحتكار إليها يصعب الوصول إلى منصب السلطان، وبهذا اتضح الخلاصة التالية:

- نشأت الدولة لضرورة اجتماعية اقتضاها الاجتماع الإنساني.

- تم نشوء الدولة بواسطة القوة والغلبة تلك الغلبة التي انبثقت عن عصبية رئيس وحدة اجتماعية قد تكون عشيرة أو بطن أو قبيلة.
- في البداية تكون سلطة الحاكم القبلية استشارية غير قاهرة ولا ملزمة لغيره ثم تتطور على شكل أشد وأكثر نفوذا.
- الوازع في الحال الأولى لا يكون رئيس قبيلة فحسب كما يبدو في الظاهر بل الفرق القبلي وحكم الجماعة.
- يتدرج شيخ القبيلة في المراتب السلطوية من مرتبته الاستثمارية إلى منصب الملك بمراحل محسوبة حتى يتحقق عرضه بالقوة والمطاولة.

إذن فقد اتضح أن ابن خلدون وضح تصور للكيفية التي قد تنشأ بها الدولة في المجتمع الذي عاش فيه.

ب- النظرية التربوية عند ابن خلدون:

ساهم ابن خلدون مساهمة فعالة في علم الاجتماع التربية الخاصة، وعلم التربية بصفة عامة، والذي لم يكن كعلم أكاديمي مستقل مثل اليوم وقد جاءت أفكاره التربوية في النقاط التالية:

- ان العلم ينقسم إلى قسمين: نقلى وعقلي.
- تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا، إذا كان التدريج شيئا فشيئا، وقليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب، من الفن هي أصول ذلك الباب، ويراعى في ذلك عقله واستعداده لقبول ما يراد عليه، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، فإن قبول الاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا

من المذاهب الجميلة والطرح الواجبة في التعليم، وإن لا يخلط على المتعلم علمان معا.

- البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات.
- يكون تعليم الصبي بداية بعض صور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ.

ج- النظرية الاجتماعية:

تتحدث نظرية ابن خلدون الاجتماعية عن الاحتياجات الإنسانية المستمدة من طبيعة الإنسان، حيث يحتاج الإنسان إلى الطعام والشراب والملابس والمأوى، ويمكن تسمية هذه الاحتياجات بالأساسية أو الأولية، وتؤدى الرغبة في تلبية هذه الاحتياجات إلى دفع الشخص لاستخدام معرفته وتفكيره بشكل أوسع، مؤذية بدورها إلى نشوء

احتياجات ثانوية، ثم تأتى مرحلة عملية التحضر، التي يبحث فيها الإنسان عن الكماليات، ونتيجة لذلك تطورت الحضارات، كما تجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون لم يعنى أبدا أن الحضارة تقوم على الاحتياجات المادية فقط، كما تحدث ابن خلدون عن طبيعة الإنتاج وضرورة التعاون بين أفراد المجتمع، لتلبية احتياجات الإنتاج، وبين أن الإنسان يتكون من جزأين هما، الجزء الجسدي، والجزء الروحي المندمج مع الجزء الجسدي، ولكل منهما تصوراته الخاصة.

د- النظرية الاقتصادية:

تناول ابن خلدون في نظريته الاقتصادية تحليلا منهجيا لآلية عمل الاقتصاد، وأهمية التكنولوجيا، والاختصاصية، والتجارة الخارجية في الفائض الاقتصادي، ودور الحكومة

وسياساتها المستقرة في تحقيق زيادة الإنتاج والتوظيف، كما بين ابن خلدون مشكلة الضرائب المثلى، والخدمات الحكومية، والإطار المؤسسي للاقتصاد، والحوافز، والقانون، والنظام، والتوقعات، والإنتاج، ونظرية القيمة، وأصبح ابن خلدون أول اقتصاد يقدم تفسيرا بيولوجيا لتقدم وتخلف الأمم.

رابعاً: أسس قيام الدولة لابن خلدون:

- يرى ابن خلدون أن العصبية لابد من تواجدها في الدولة بحيث تشكل حجر الأساس في بناء المجتمع والعمران، والعصبية في البدو تختلف عن العصبية في الحضر، إذ يتخذ وجها آخر في التغير والتحول إلى غايات أخرى تؤهلها لأن تكون القوة المحركة لقيام

الدولة ونهوضها، فحركتها تعمل على انتقال التنظيم السياسي للعمران من متخفية إلى مرحلة بيئة أي يتبلور بشكل واضح في العمران أو المجتمع الحضري.

- لابد للعصبية من وجودها بها يتماسك مجتمعها، فيها يكون الإتحاد والتعاون بين الأفراد المجتمع، فتستمد العصبية قوتها من هذا التشارك لتقوم الدولة على أساس هذه القوة. فيقول ابن خلدون أن الوصول إلى الملك والاحتفاظ به يحتاج إلى عصبية، لأن طريقة الأول هي المغالبة والتغلب، ولا يتحقق التغلب إلا عن طريق تمكن صاحب العصيبة من المطالبة بالملك.
- وأن الدولة لا تقوم على عصبية ضعيفة، بل يجب مبدأ هو المحور الحقيقي لنظرية ابن خلدون ألا وهو مبدأ القوة والغلبة.

وأن الدولة على ثلاث مستويات:

- استمرارية العصبية: أي سيطرة الأنا الفردي داخل العصبة التي استلمت الحكم والسلطة، إذ أن العصبية الغالبة في هذا الطور تعتبر الحكم مغنما لها، فالمساهمة في الجاه والسلطة تستلزم ضرورة المشاركة في المال والثروة.
- ان علاقة الدولة برعيتها من جنس علاقات أفرادها بعضهم مع بعض، فاذا كانت العلاقات القائمة بين أهل الدولة (أفراد العصبة الحاكمة) هي علاقات مشاركة ومساهمة، فإن علاقاتها مع أهل العصبيات الذين أصبحوا تحت سلطتها ومع سكان المناطق الخاضعة لنفوذه هي أيضا علاقات بكثير من الرفق والتسامح،

لأنها صادرة عن الأخلاق الحميمة التي جعلت العصبية الحاكمة لتوأ منصب الرئاسة ومن ثم الملك.

أما بالنسبة لطور العظمة والمجد يتميز هو الآخر بخصائص تكاد تناقض مميزات الطور الأول، وهي نتيجة الرخاء الذي ساد الدولة، هكذا فبدلا من خشونة البداوة تبدأ رقة الحضارة وبدلا من المساهمة والمشاركة يبدأ الاستبداد والانفراد بالمجد عوضا من اعتماد صاحب الدولة على عصبيته وعشيراته يلجأ إلى الموالي والمصطنعين الذين يأخذ في الاعتماد عليهم والاستغناء تدريجيا عن عصبيته.

- أما طور الهرم فهو طور الإسراف والتبذير والانصراف إلى الشهوات واصطناع بطانة السوء عن أمور المملكة فيعقد جمهور القوم وكبار الرعية عن

نصرة صاحب العصبية ويحقدون عليه فيفسد جنده ويختل أمره ويزول ملكه.

كذلك العصبية تحدد عمر الدولة بطريقة غير مباشرة، حيث أن قوة الصبية تحدد نصيبها من الممالك، ومن ثم اتساع الدولة، فالعصبية القوية تعنى دولة متسعة وعند انتهاء عمر الدولة وفق دورة التاريخ لابن خلدون تبدأ بفقدان الأطراف.

ولذا فعمر الدولة كما شبهها مالك بن نبي كعمل الطفل من ورحلة الطفولة والضعف إلى مرحلة الشباب والقوة إلى مرحلة الشيخوخة والهرم.

والوازع حسب الرأي ابن خلدون لا يكون وازعا الأمن كان يحظى بعصبية قوية تسانده وتوفر له سلطة قاهرة، تمكنه من التحكم بقوة وغلبة تؤهلوا لصدا أشكال

العدوان على اختلاف أصنافه وتباين شدته وعليه فهو يخرج من هذا صفة رؤساء القبائل وشيوخها.

لقد أرسى ابن خلدون دعائم الدولة القائمة على أسس منها عصبية الحكم، وحدد عمرها الزمنى وشبهها بعمر الإنسان، فهو من أرسى قواعد الحكم واستمراره وقد سابقا لزمانه.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد استعراض ملامح علم الاجتماع في الوطن العربي منذ النشأة إلى يومنا هذا بكل ما يحمله من إنجازات وصعوبات اعترضت الأجيال السوسيولوجية، وفى الواقع المعاش في الوطن العربية يؤمل من علم الاجتماع مستقبلا بعدما خاض معارك قاسية لإثبات وجوده في الجامعات حان له الوقت ليثبت مكانه على الساحة الشعبية ويعترف بها شعبيا ومن قبل هيئات الدول العربية، حتى يتسنى له معالجة القضايا العربية بكل صدق وأريحية ونتائجها تعود بالفائدة لصالح المجتمع بأكمله من خلال تشريح المشكلات وإيجاد الحلول لها حتى لا تتفاقم، كما يمكن للباحثين المتخصصين من استنباط نظرية عربية خالصة وفق خصوصيات مجتمعاتنا.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

1. محمد الجوهري، علم الاجتماع في مصر، الكتاب السنوي لعم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1980.
2. عبد القادر عرابي، علم الاجتماع العربي، ترجمة محمد الجوهري، دار المعارف، القاهرة، 1983.
3. حسن الساعاتي، تطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع في مصر منذ سنة 1952، "المجلة الاجتماعية القومية، العدد 1، 1964.
4. عبد الوهاب بوحديبة، علم الاجتماع العربي وشروط مصداقيته، المركز العربي للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية، بيروت،1983.

5. عبد الباسط عبد المعطى، نحو علم الأجتماع عربى – علم الأجتماع والمشكلات الأجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.
6. حسن عبد الغنى بوغدة وأخرون، الإسلام وبناء المجتمع، مكتبة الرشد، بيروت، لبنان، 2014.
7. عبد الغنى عماد، منهجية البحث فى علم الاجتماع، دار الطليعة، الأردن، 2007.
8. أحمد إبراهيم الخضرى، اعترافات علماء الأجتماع (عقم النظرية وقصور المنهج فى علم الأجتماع)، المنتدى الأسلامى، لندن 2000.
9. عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار نهضه مصر، القاهرة، 2014.

10. محمد عزت حجازى، الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع فى الوطن العربى، كتب المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1989.
11. أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الأجتماع العام، الطبعة الأولى، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
12. أبو بكر أحمد باقادر، عبد القادر عرابى، آفاق علم اجتماع عربى معاصر، دار الفكر، دمشق، 2006.
13. عماد الدين خوانى، تطور علم الأجتماع الغربى من النشأة إلى الأزمة، مجلة العلوم الأجتماعية والأنسانية، العدد 12، جامعة باتنه، الجزائر، 2005.

14. عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية فى علم الأجتماع، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
15. العياشى عنصر، نحو علم اجتماع نقدى، دراسات نظرية وتطبيقية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2003.
16. شادية على قناوى، سوسيولوجيا المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الأجتماع المعاصر، دار قباء للنشر، القاهرة، 2000.
17. سليم درنونى، علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية (إرهاصات الماضى وتحديات المستقبل)، مجلة التغير الاجتماعى، العدد الأول، مخبر التغير الاجتماعى والعلاقات العامة، جامعة بسكرة، 2016.

18. سعد الدين إبراهيم وآخرون، علم الاجتماع وقضايا الانسان العربى، نحو علم اجتماع عربى – علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة –سلسلة كتب المستقبل العربى 7، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 2010.

19. محمد الأطرش، العرب والعولمة ما العمل، مجلة المستقبل العربى، بيروت، (عدد رقم 229 مارس 1998).

20. محمد العربى، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1989م.

21. جمال الدين غريد، الزرع الإشكالى للسوسيولجية في العالم العربى حالتا مصر والجزائر، وقائع ملتقى علم

الأجتماع والمجتمع فى الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

22. محمد عزت حجازى وآخرون، نحو علم اجتماع عربى: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.

23. نادية محمد مصطفى، أعمال ندوة قسم العلوم السياسية، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، القاهرة، 2003.

24. محمد الجوهرى، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع، العدد الثالث، القاهرة، دار المعارف 1082.

25. السيد الحسينى، نحو نظرية اجتماعية نقدية، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1982.

26. سارة صالح الخمشي، نحو ملامح استراتيجية وطنية مقترحة للمسؤولية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، مجلة شؤون اجتماعية، المجلد 31، العدد 122، 2014.

27. سمير عبد الفتاح، مبادئ علم الأجتماع، دار أسامة والمشرق للتوزيع والنشر، الأ ردن، 2006.

28. هشام يعقوب، مدخل إلى علم الأجتماع، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.

29. هادى صالح العيساوى، آفاق علم الأجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.

30. خليل عبد الله المدنى، علم الاجتماع فى الوطن العربى (دراسة فى نشأة علم الأجتماع في مصر، السودان،

السعودية)، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، 2007.

31. سهى حمزاوى، سامية كواشي، إشكالات علم الاجتماع فى الوطن العربى مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 28، مارس، 2017.

32. على الكنز، الإسلام والهوية : الدين فى المجتمع العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990.

33. لاهى عبد الحسين، مستقبل علم الأجتماع التحديات وآفاق الحل، المجلة العربية لعلم الأجتماع، 2014.

34. عيسي الشماس، مدخل إلى الإنسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

35. مصطفى الشكعة، الأسس الأسلامية عن فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، 1992.
36. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف على الجرجانى، سلسلة موسوعات مصطلحات أعلام الفكر العربى الإسلامى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2004.
37. حسن اسماعيل، الدلالات فى لغة ابن لغة المقدمة عند ابن خلدون، بيروت، 2007.
38. محمد العابد الجابرى، فكر ابن خلدون : العصبية والدولة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.
39. محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدونى من خلال المقدمة، بيروت، 1998.

40. عمر فروج، تاريخ الفكر العربى أيام ابن خلدون، بيروت، 1983.

41. نبيل عبد الحميد عبد الجبار، تاريخ الفكر الأجتماعى، دار دجلة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

42. Koselleck, Reinhart and Michaela W.Richter.Crisis.Journal of History of Idea.vol.67, no.2(April 2006).

43. Sabine, George. What is Political Theory.The Journal of Politics, vol.1, no.1(February 1939).

44. Shapin, Steven. Understanding the Merton Thesis. Isis Journal. Vol.79.no.4 (December 1988).

45. Johnson, Carol (ed). The Social Sciences in the Asian Century.Canber-ra: ANU Press, 2015.